خطاب فخامة رئيس الجمهورية

في حفلة افتتاح مؤتمر الاونسكو ببيروت

●

ايها السادة المندوبون : يسعدني ان ارحب بكم ترحيباً صادقاً جميلاً اذكر بمناسبته قول الشاعر اللاتيني : « انا انسان وليس بغريب عني كل ما هو انساني ». فباسم لبنان الفخور باستقبالكم في ارضه المضيافة، ارض الحضارات العريقة، وملتقى ثقافات الشرق والغرب، اعرب لكم عن اخلص التمنيات، لان يخصب نشاطكم ، ولأن تكون اعمالكم منارات مشعة على طريق التقدم الفكري والانساني .

وثمة امنية ثانية ، فلقد كان يروقني ، لو تناسينا معاً الى حين ، الهموم الممضة التي تكدر صفاء العالم ، ولكنني عن عمد ادع مثل هذا التمني ، يقيناً مني ان الانسان ، بمعنى البطولة المثالية في اسمه ، وانه في انبل صورة من صوره ، لا يسوغ له باي حال ، ان يلوي بوجهه عن الصعوبات ، ولا ان يتوارى امام المعضلات، بل يتوجب عليه ان يقتحمها ، وخاصة عندما يكون متوقفاً على مجابهتها مصير السلام .

وما تناسي شؤون الساعة ، بالمطلب الذي يوجه الى امثالكم من الرجال ، ولا لضمائركم كضمائركم ، ودوركم، وانتم ممثلو منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، هو ان تكونوا دوماً في يقظة، وان تعبدوا السبل ، وان تساعدوا في بعث القيم الروحية والمعنوية ، وان تجابهوا القوة الهوجاء ، في عالم تدعي هي السيطرة على كل ما فيه ، لدى اقل غفلة من الانسانية ، عن المبادىء الاساسية ، التي يجب ان نحيا بها .

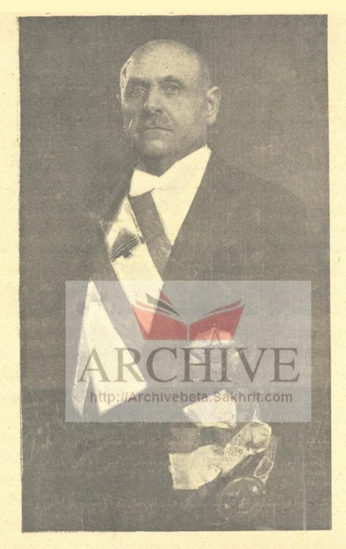
وكل من يعرض اعمال منظمتكم ، وهي من انبل منظمات العالم طموحاً في تنكرها للسهولة وعدم المبالاة ، يتولاه الحبور ، اذ يرى معظم المفكرين الذين تنسجم دروسهم مع عملكم يؤمنون ايماناً عميقاً ، بفعالية ما انتم له ساعون ، ويجيبون بـ « نعم » تكاد تكون اجماعية ، على السؤالين اللذين يعتريان الاذهان المتجهة نحو الخير .

« هل تستطيع منظمة دولية كالاونسكو ، ان تساعد على نمو التربية والعلم والثقافة في العالم ؟ » .

« هل مساهمة اعضائها في فرع من فروع النشاط الفكري ، تبلغ بالعالم مستوى امثل للمعرفة والتفهم ، وتؤدي الى توطيد اليقين بالسلام ؟ » .

اننا بدورنا لا نتردد في ان تجيب : « نعم » على كلا السؤالين، مختصين الثاني منهما، بتحفظات آنية عليها الحاضر وحده، ولا تحول دون اعلاننا بصوت قوي عن ثقتنا بالمستقبل . فمشروع كمشروعكم يهدف الى نشر السلام في النفوس، ومد رواقه على الشعوب، لا بد له من عمل طويل الامد لكي يؤاتيه الحظ ويحقق ما يريد .

ان العلم وهو سلاح ذو حدين ، واله ذو وجهين ، احدهما للاعمال العمرانية السلمية والثاني للاعمال التدميرية، قد حسن حياة الانسان تحسيناً بالغاً، وغير وجه البسيطة، ولكن هل تناول روح الانسان باي تغيير؟



لا يسعنا ان نجزم بذلك ، ولا بانه بدل من جوهر الانسان ، وحسه وقلبه . فالافكار السالفة والعواطف القديمة، فما تزال محتفظة بحكمها، وما تزال المسيرات نفسها صاحبة الامر والنهي في اهم حركات الفرد ، وما برح انسان اليوم يواجه حوادث حياته مواجهة انسان الامس ، ولئن كان من تغيير ، فانه لم يتطرق الا الى طريقة التعبير .

فالحب ، والبغض ، والغضب ، والحسد ، كل هذه الانفعالات التي يتناولها الخلق والدين بتعديل

صالح ما تزال هي المسيطرة علينا . والاطماع ، والاحلام الخارقة التي انتابت الشعوب منذ اعرق الازمنة قدماً هي نفسها التي تنتابها اليوم ، بحيث يبدو علم الانسان متوقفاً عند تعاليمه البدائية ، بينما تقدمت العلوم الطبيعية والكيمائية بخطوات جبارة الى الامام .

والآلام التي يعانيها الانسان في حياته الاجتماعية ، وجلبة العواطف تتنازع ملكوته الذاتي ، بلاسمها لم تتغير . ما هي مسطورة في القوانين ، ولا منقوشة على الرخام ولكنها مستقرة قبل كل شيء في صميم القواعد المعنوية : في روح العدالة ، في احترام الشخصية الانسانية ، في تقديس القيم السامية التي تشرف الانسان ، والتي هي ملك خاص اقطعه وحده على هذه الارض .

واذا ما استهين بهذه القواعد في مجتمع ما ، ففي استطاعة السلطات العامة ، ومن واجبها ، ان تتدخل لقمع الشر الذي لم توفق في استدراكه ، ولكن عندما يغشى الامم نفسها نسيان القواعد التي تفرضها على مواطنيها ، مخالفة ما وضعته هي بذاتها ، مفرقة بين الواجبات المعنوية للفرد وبين الواجبات المعنوية للدولة ، فاين هو ذلك المرجع الانساني الاسمى الذي يلاذ به ، ويستطيع ان يحول دون وقوع الكارثة ؟

تلك هي المعضلة ، المعضلة البارزة للعيان وليس بيننا من يسعه في الآونة الحاضرة ، المباهاه بانه وجد لها حلاً ، فهي ماثلة امامنا معقدة غامضة . وما دام الامر كما هو فحسبنا ان نبدي ملاحظات عامة على هذا الموضوع الخطير ، اننا نجزم في معزل عن الخطأ بان في صميم كل انسان – ولو بتأثير خشية عاقلة – حباً اكيداً للسلام ، والا فمن هو ذلك الانسان المتزن الكيان الذي يسعى ، على ارادة منه ، الى تعريض نفسه واولاده ووطنه لكوارث الحرب ؟ ومن هو ذلك الذي يشتهي ما يذرف بسببها من دموع وما ينتشر من بؤس ، وما يجري من دماء ؟

ولكن المصالح القومية تصطدم ويا للاسف بمصالح من نوعها ، وكذلك اطماع الشعوب تحتك وتبعث في اية لحظة الشرارة التي ينتشر منها الهزيم وتنقض الصاعقة .

وما نشأت المنظمات الدولية الكبرى الا استجابة لنداء شامل ، ولحركة حارة تستهدف السلام ، واذا كان لم يكتب لمهمتها ظفر دائم ، فما ذلك لانها تفتقر الى قوة دولية قد يطول مدى افتقارها اليها ، بل لان الشعوب لم تتعلم بعد كيف تتعارف تعارفاً كافياً ، وكيف تتبادل التفاهم والمحبة .

واذا تحتم احياناً تنازل متبادل عن بعض مقومات السيادة الوطنية ، فان الاهم من ذلك ان تتجه الشعوب نحو الفة متزايدة ونحو تعزيز في مبادلات الفكر ، والشعور ، والمادة ، فيما بينها .

وهذا هو ميدانكم ايها السادة ، هذا هو العمل السامي الذي فرضتموه على انفسكم والذي يتطلب جهودكم . ستتعرضون للخيبة في الآمال ولغمرة من الآلام ، وفي ذلك لا بد ان يذكر اكثر من واحد منكم قول الانجيل « اذا فعلتم جميع ما امرتم به فقولوا انا عبيد بطالون » . وكل نشاطكم الفكري والروحي والانساني يمكن ان يصادم القوة يوماً وان يتحطم امام نشاط الذرة الهائج ، وهو على حد الحكمة القديمة القائلة : « آخر حجة الملوك » فلا تيأسوا ، ولا تهنوا ، وامضوا في سبيلكم ، واثقين من ان ورقتكم جديرة بأن تلعب ، ومن ان حظكم خليق بأن يجرب ، لان حظ السلام في العالم يتوقف على نتيجة هذا الرهان .

يقول المثل العربي الحكيم : « الانسان عدو لما جهل » . ونستطيع شرعاً قلب هذا المدلول فنقول : « المعرفة طريق المحبة » . واذا كان يصعب الاخذ اطلاقاً بهذه الحقيقة فمن الثابت على الاقل ان التعارف اولاً شرط مفروض في المحبة .

ان المبادلات المجدية بين الشعوب تؤدي الى هداية الافكار والى استثارة القلوب ، والى اثراء العقل بتصورات جديدة ، والى مساعدة الانسان على التحرر من العبوديات المادية .

انني اعلم ايها السادة ، ان الاونسكو تتعهد تكوين « مواطنين عالميين » . وهذا مشروع واسع النطاق مترامي الآفاق ، ولكن عملكم يصبح اعمق اثراً ، واقرب منالاً ، اذا استطعتم ان تزيدوا وحيه في نفوس قادة العالم الذين يحتم عليهم الواجب ان يوسعوا آفاق نظرهم ، فلا يستوقفهم شعب مهما كان كبيراً ، ولا امة مهما كانت عظيمة ، ليشملوا بها عالمنا في كامل حدوده ، وقد تحول في نظام المقاييس الجديدة الى رقعة ضيقة صغيرة .

ايها السادة المندوبون ، ثقوا ان على هذه الارض اللبنانية ، التي شهدت امداً طويلاً سير التاريخ في عهديه القديم والحديث ، شعباً يفهمكم ، ويقدر عملكم في كنه قيمه ، وسينمو عنده كل ذلك في هذه الايام الحافلة ، التي سنقضيها معاً ، ولسوف نعرف ههنا ، كيف نفكر ، ونتأمل ، ونصلي ، ممارساً كل منا طريقته الخاصة ، بحرية كاملة .

وها هنا يمدو عدوه المتصل ، من الغرب الى الشرق ، ومن الشرق الى الغرب ذلك المشعل الذي يتوهج فيه الوعي الانساني ، وتنبلج منه عظمة الانسان . ان في وجودكم بيننا مرحلة حاسمة من مراحله وسنعمل من جهتنا معكم ، ومن طريقكم ، على ايقاظ اخوة العصور الكبرى بين الشرق والغرب ، وتوثيق علاقات البلاد العربية وسائر بلدان الشرق الاوسط مع بقية العالم ، وتعزيز المعرفة ، واغناء القوى المعنوية ، واخيراً خدمة الفكر وخدمة السلام . ولبلوغ هذه الاهداف نطلب من جميع الذين يحلمون بانسانية مثلى اي من كل منكم ، ومن الاونسكو بكاملها ، مساعدتنا في مهمتنا وايلاءنا الثقة .

وليس لي ان امتدح البلد الذي شرفني برئاسته الاولى ، ولكنني استطيع ان اقدمه لكم مستوفياً شروط التربة الخصبة حيث تينع حنطة الزرّاع . ان لبنان هو صديق الحقيقة ، انه تلك الارض المختارة ، ارض التفاهم والتسامح والحريات . والطوائف العديدة التي يتألف منها تمتاز بسعيها المتواصل لتعزيز التفاهم فيما بينها ، ولان تفي بحقوق بعضها البعض بعدل متبادل ، ولان تتواصل بمحبة صحيحة ، وقد يكون في المثل الذي نجتهد بتقديمه ، قدوة حسنة للمقتدين .

ولكن لبنان ينتظر منكم الدروس الرفيعة التي ستقترن بتاريخ نزولكم في ربوعه وسيضمها الى تاريخنا ، فانتم ايها السادة تقومون بعمل انساني في ارض الانسانية ووطن العذوبة . ونحن نردد معكم خلال شهر الاونسكو : « اعرف نفسك بنفسك » . « المرء يضيق بكل شيء الا بالمعرفة » .

« لو كنت انطق بألسنة الناس والملائكة ولم تكن في المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن » .

« ان البغض عقم » . « الحياة الحقيقية ينبوعها الروح » . « المحبة اقوى من الموت » .

التعارف الاممي خير ضامن للسلام

بقلم كمال اليازجي

استاذ بجامعة بيروت الاميركية

منذ نهاية الحرب العالمية الاولى والجهود مبذولة لتحقيق فكرة السلم العالمي بشتى الوسائل . وقد كانت « عصبة الامم » الاداة التي قرَّ عليها الرأي لحل المشاكل الدولية وتوثيق السلام في العالم . لكن الايام اثبتت ان المحاولة لم تكن سوى تخدير موقت ، وان « السلام » لم يكن الا هدنة قصيرة الامد اندلعت بعدها نيران حرب ادهى من الاولى وافظع .

ويبدو ان رجالات المساعي السلمية بعد الحرب الثانية ، قد اقتنعوا بان السلم العالمي لا يأتي بمجرد الدعاية والوعظ . ولذلك تحولوا الى درس امكانيات التقارب بين الشعوب عن طريق التعاون الثقافي ، وبصورة خاصة بين الطبقات المستنيرة من شتى الامم ومختلف الشعوب . وما المؤتمر الذي ينعقد اليوم في العاصمة اللبنانية الا محاولة من تلك المحاولات المبرورة .

والذي يبدو لي – على اثر عودتي الحديثة من الولايات المتحدة – ان هنالك ما هو اجدى من عقد المؤتمرات والقاء الخطب وتحبير المقالات الوصول الى التفاهم الدولي اعني : التعارف الشخصي بين افراد الامم ما كان ذلك ممكناً . فالحرب قد اصبحت اليوم حرب الشعب . والشعب في النظام الديمقراطي الذي ندين به ونؤمن بافضليته هو صاحب الكلمة الاولى والاخيرة في اعلان الحروب . فكل فرد منه جندي عامل في المجهود الحربي . محفوف باخطارها وشرورها حتى ولو كان قابعاً في كسر داره فالتعارف بين افراد الشعوب يخفف – على الاقل – من حدة الروح العدائية التي يبثها السفاحون وارباب المطامع .

وليس هذا التعارف حلماً من الاحلام ، ولا بدعة من البدع ، بل هو امر واقع لا يحتاج في تحقيقه الى اكثر من رفع الحواجز عن الراغبين في السفر والتنقل ، وتنشيط المؤسسات الاممية التي تعمل على تعزيز التقارب بين الشعوب ، وتوثيق الالفة بين الجنسيات المتباينة .

اما الحواجز : فتلك القوانين الصارمة التي تسابقت الدول الى سنها من اجل ان توصد ابوابها في وجه المرتادين : محبي السياحة وطالبي الاستفادة . ارفعوا هذه الحواجز ، ودعوا الناس يتعارف بعضهم على بعض ، ويزور بعضهم بلاد البعض الآخر ، ففي ذلك ما فيه من تيسير التفاهم ، فلئن كان المرء « عدو ما يجهل » فهو ايضاً « عدو من يجهل » . ولقد اقنعني الاختبار ان هذه الصلة الشخصية ذات تأثير بالغ في توثيق الالفة . فقد نشأت في مدرسة اميركية ، وزاولت فيها الدروس الى ابعد ما اوصلتني ، ثم مارست التعليم فيها نحواً من عشرين سنة ، ومع ذلك فان رحلتي الى الولايات المتحدة التي لم تتجاوز السنة والربع كانت اوقع في نفسي من تلك السنين الطوال التي قضيتها في المعهد طالباً ومدرساً .

واما المؤسسات الانسانية الاممية فقد عرفت منها في الولايات المتحدة المؤسسة المعروفة بالمنزل الاممي «International House» وهو مؤسسة كبرى يرأسها السيد جان ركفلر – ابن المثري الاميركي الشهير – وينفق عليها الكثير من ماله الخاص . وهي عبارة عن سلسلة فنادق يتسع الواحد منها لنحو خمس مئة شخص من نساء ورجال . وتقبل بصورة خاصة الطلاب الغرباء من سائر انحاء العالم وتتقاضى منهم من الاجور ما يكفي لتغطية النفقات فقط . والهام في امر هذه المنازل ان النازلين فيها يعيشون كعائلة واحدة لان الادارة حريصة جداً على توثيق عرى الالفة بينهم بما تقيمه من حفلات ومؤتمرات ورحلات . ولهذه المؤسسة الآن اربعة فروع : ثلاثة منها في الولايات المتحدة وواحد في باريس والهمة مبذولة لانشاء فروع أخرى في اوروبا الغربية والشرق الاقصى . وقد اقمت في فرع شيكاغو من هذه المؤسسة اكثر من سنة ، وعاينت بنفسي الفائدة العظمى التي يجنيها الفرد من معرفة « نماذج » من الشعوب الاخرى . هنالك عرفت الكثيرين من جوالي اميركا الجنوبية واوروبا والشرق الادنى وافريقيا الجنوبية والشرقين الاوسط والاقصى ، وكنا نعيش كافراد اسرة واحدة تربطنا الالفة ويجمعنا الاخاء .

فالى تسهيل الاسفار وتنشيط المؤسسات الانسانية الاممية نلفت نظر القيمين على مؤتمر « الاونسكو » الثقافي ، راجين ان يعيروا هذا الامر ما يستحقه من الاهتمام ، آملين ان تكلل اعمالهم المبرورة بالنجاح التام .

كيف نعد الطفل تربوياً ليتحمل مسئوليات الانسان الحر

بقلم جورج شهلا
استاذ بجامعة بيروت الاميركية

☆

بينما انا اقلب جريدة الصباح متصفحاً ما جاء فيها تحت عنوان « مذكرة شمعون الى الرئيس » اذ وردت علي رسالة من احد الاصدقاء يطلب الي فيها ان اكتب مقالاً مختصراً موضوعه « كيف نعد الطفل تربوياً ليتحمل مسئوليات الانسان الحر » .

تأملت قليلاً ، ثم قلت في نفسي ، غريبة هذه المصادفة وما اقرب هذا الموضوع من ذاك . مذكرة تحاول تشخيص الداء ، ورسالة تطلب وصف الدواء .

اذا صح ما في هذه المذكرة ، او بعض ما فيها ، فاننا مصابون باوبئة اجتماعية ونقائص اخلاقية لو تركت وشأنها لنخرت جسم المجتمع وادت به الى الانهيار . أفلا يجدر بقادة الفكر ، والحالة هذه ، ان يعيروا هذا الامر الخطير جانباً عظيماً من اهتمامهم ؟

ولئن ظن رجال السياسة ان مشاكلنا الاجتماعية وليدة حكومة او ادارة خاصة ، وانه يمكن حلها بمجرد حل مجلس او قلب حكومة او سن قانون ، فان المربين يعلمون حق العلم انها في الاساس مشاكل تربوية ، اي انه لو حللت تحليلاً نهائياً وارجعت الى اصولها لتبين ان للتربية — او سوء التربية — فيها يداً طولى .

ليس من ينكر ان سن القوانين وقلب الحكومات وحل المجالس النيابية لها اثرها — واثرها العاجل — في المجتمع ، ولا سيما اذا كان القائمون بالامر ذوي خبرة واسعة وهمة عالية واخلاص مستميت . على ان هذه الوسائل السياسية وحدها لا تأتي بالفائدة المطلوبة الا اذا دعمتها جهود المعلمين والمربين .

ولعل اهم سؤال يوجه الى المربين في هذه الظروف العصيبة هو هذا السؤال بعينه : كيف نعد الطفل ليتحمل مسئوليات الانسان الحر ، وانا في هذه العجالة لا يسعني ان أفي الموضوع حقه . فاقتصر على فتح بابه مشيراً الى بعض الاسس التي يرتكز عليها .

سؤالنا يدور على فكرتين اساسيتين هما الحرية والمسئولية وهاتان الفكرتان ملازمة احداهما للاخرى كما سنرى .

من القضايا المسلم بها ان الحرية هدف اسمى للتربية ، وان الانسان الحر هو مثلها الاعلى . وماذا نقصد بالانسان الحر الذي تجعله التربية مثلاً اعلى لها ؟

الانسان الحر ، في معتقدي ، هو الذي خضع جسده لارادته وتحكم عقله في هواه ، فتحرر من رق الميول الهمجية والنزعات الوحشية ، وهو الذي استنار عقله بنور العلم والمعرفة ، فتحرر من اغلال الجهل والغباوة والانقياد الاعمى ، وتخلص من ربق الاوهام والخرافات والترهات . وهو الذي أرهف ذوقه وهذبت نفسه ، فتحرر من عبودية القبح والشناعة ، فتاقت نفسه الى كل ما هو جميل ، سواء أكان في الفنون ام في الاخلاق . وبكلمة اخرى الانسان الحر هو الذي تكامل نموه من الناحية الخلقية والفكرية والعاطفية بحيث لا يسعه الا ان يسعى وراء الخير والحق والجمال .

يتبين لنا من هذا التعريف ان الحرية باسمى معانيها ليست سهلة المنال . وانها لا تأتي الا نتيجة لتدريب طويل وترويض متواصل . يدرب الطفل ويروض جسداً وعقلاً وارادة وعاطفة حتى يتكامل نموه ويصير انساناً حراً ولما كان التدريب والترويض منطويان على النظام فان النظام هو السبيل الوحيد الى نيل الحرية الحقيقية .

فكما ان الجندي لا يمكن تدريبه على الحرب الا اذا تعود اطاعة النظام، كذلك الطفل لا يمكن تدريبه على روح الحرية والاستقلال الا اذا تعود اطاعة النظام ايضاً .

قال احد كبار المربين في هذا الصدد . « الحرية نصر يحرزه المرء نتيجة لعراك طويل . والنظام انما هو الخطة الرشيدة التي يتبعها في سبيل هذا النصر المبين . والنظام لا يعارض الحرية في شيء » .

وهذا في نظرنا قول معقول ينطبق على التربية كما ينطبق على غيرها من نواحي الحياة . فالشاعر لا يكون حراً في خياله ورسم صوره الشعرية حتى يتقيد بقواعد العربية والعروض . والموسيقي لا يكون حراً في تونيع انغامه حتى يتقيد بقوانين فن الالحان . والرسام لا يكون حراً في التعبير عما يجيش في صدره من العواطف حتى يلم باصول الرسم . والمعلم لا يكون حراً في تصرفه بغرفة التدريس حتى يتقيد بمبادىء التربية وبخطة يرسمها لنفسه قبل الدرس .

اذن فالحرية التي تستهدفها التربية هي حرية نظام وقانون ، حرية يجاهد الناشيء في سبيلها حتى ينالها عن جدارة واستحقاق، بل هو ينتزعها من المجتمع انتزاعاً بجهده وعرق جبينه ، فهي حق من حقوق الطبيعة ، لا منحة يمن بها عليه . وكما ان حرية الامة تؤخذ ولا تعطى كذلك حرية الفرد ايضاً تؤخذ ولا تعطى . وهل يعرف المرء قيمة الحرية الا اذا جاهد في سبيلها ودفع ثمنها غالياً ؟

ثم ان الحرية التي نرمي اليها هي — بالاضافة الى ذلك — حرية مسئولة . هي حرية نظامية اولاً ، وحرية مسئولة ثانياً . واقصد بالحرية المسئولة انها خاضعة لمقتضيات المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، ومقيدة بالتبعات المترتبة عليه تجاه هذا المجتمع .

الانسان مع ميله الطبيعي الى الحرية الفردية والى الاستئثار بالمنفعة والاستبداد بالرأي ، ميال ايضاً الى الاندماج بسائر اعضاء المجتمع الذي ينتسب اليه ، والى التعاون معهم في امور كثيرة . هو مخلوق انيس طبع على حب الحياة مع اخوانه في البشرية . ولو اضطر يوماً الى المعيشة في معزل من الناس لفقد الشيء الكثير من سعادته وهنائه . ومما يحملنا على الاستئناس اننا لا نستغني بعضنا عن بعض ، مهما كنا ميالين الى الانانية والاستئثار .

وجدير بالمربي ان يأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار وان يبذل اقصى الجهد في تقوية الناحية الاجتماعية في طبيعة الطفل . فالطفل الذي نعالجه انما هو فرد من جماعة ومواطن يعيش بين اخوان مواطنين . فيتحتم علينا ان نعده للحياة الاجتماعية ، وان ندربه تدريباً عملياً على هذه الحياة الاجتماعية وهو لا يزال في المدرسة — مجتمعه الصغير .

الحرية في نظر الطفل تفيد معنى الاباحية — حرية العصفور يطير من شجرة الى شجرة والفراشة تنتقل من زهرة الى زهرة هذه هي الحرية التي تتبادر الى ذهنه في اول الامر . والانسان الحر في عرفه هو الذي يتصرف كيفما يشاء بقطع النظر عن غيره من الناس .

عندما جرى الانقلاب العثماني في اوائل هذا القرن احتفلت السلطنة العثمانية بعيد الانقلاب، وكان يدعى بعيد الحرية . وكنت اذ ذاك حدثاً في دور الدراسة الابتدائية . فاحتفل معهدنا الصغير بهذا العيد وشعر التلاميذ بسرور لا مزيد عليهم ذلك لان الحرية كان معناها عندنا اننا اصبحنا قادرين على القيام بكل ما نشاء من الاعمال دون قيد او شرط . وكنا اذا تجرأ العرفاء ان يعترضوا سبيل احد منا او ان يحدوا حريته اجابهم على الفور : « انا حر والدنيا حرية ! » ومضى علينا وقت طويل قبل ان ادركنا ان حرية كل منا منوطة بحرية الآخرين ، وان هذه الحرية تنتهي حالما تعارض حرية احد من اعضاء المجتمع .

ومن الغريب ان بعض التقدميين المتطرفين من رجال التربية لا يوافقون على ادخال القيود على حرية الطفل . لانهم يظنون ان تقييد حريته تعمل على قهره واذلال نفسه . وان القيد، مهما يكن نوعه ، عرق لنمو الطفل الطبيعي . وكبح لشعوره الفياض وكبت لروحه الوثابة . ولذلك تراهم يطلقون له العنان ليفعل ما يشاء وتشاء اهواؤه وميوله ، فينشأ انانياً لا يحترم شعور الآخرين ولا يعترف بحقوقهم . وحقيقة الامر ان القيود المعقولة لا تحد حرية الطفل ولا تؤثر فيها هذا التأثير السيء ، وانما تسمو بها الى مستوى رفيع يضمن لها الدوام والاستقرار .

وصفوة القول ، اذا اردنا ان يقوم الانسان الحر بما يترتب عليه من المسئوليات نحو المجتمع فلابد له من ان يوجه توجيهاً خلقياً صحيحاً منذ الصغر . وهذا التوجيه في معتقدي، يرتكز على ركنين اساسيين .

الاول : ان يدرب الناشيء على الحرية المقيدة بالنظام والقانون .

والثاني : ان يدرب على الحرية الخاضعة لمقتضيات المجتمع الذي يعيش فيه .

ولعلنا في هذه الايام العصيبة احوج في تربيتنا الى تربية خلقية كهذه منا في اي وقت آخر .

جورج شهلا

في سبيل ايجاد عالم احسن

بقلم موسى سليمان
استاذ في جامعة بيروت الاميركية

يعقد في عاصمة لبنان، في هذه الايام مؤتمر الاونسكو، وهو أكبر مؤتمر ثقافي عالمي عرف في التاريخ حتى اليوم. وغايته تنحصر، كما ارى، في العمل الثقافي الايجابي التعاوني بين الدول المشتركة فيه، وذلك في سبيل ايجاد عالم افضل من العالم الذي نعيش فيه.

وكأن اعضاء الاونسكو في هدفهم النبيل هذا، قد لبوا رغبة ملحة تختلج في ضمير لبنان منذ كان لبنان. ولبنان كان ولا يزال، الوطن الذي يقوم على الفكر والعلم والحرية. فاذا اردنا ان يبقى لهذا الوطن طابعه العلمي الثقافي فعلينا، قبل اي شيء آخر ان نخلق المدرسة الصالحة الجديدة، ذلك ان المدرسة مظهر بارز من مظاهر المجتمع. وهي تمثل اعلى درجة من الرقي توصل اليها هذا المجتمع، لا بل هي الباعث الاول على رقي المجتمع وخلق ما فيه من فضائل وجوهر.

فاذا ما اعارها رجال العلم والتربية جل اهتمامهم فلتقديرهم اهميتها التوجيهية ومسؤوليتها التربوية في بناء الجيل الطالع بناء صحيحاً قوياً. واذا كنا نطلب ان تكون لنا في لبنان مدارس جديدة، تقوم على فهم جديد للقيم الروحية، وتسير على اساليب جديدة في التربية والتهذيب والتعليم، مستمدة مناصرها البنائية الايجابية من الحق المطلق، دون النظر الى اي اعتبار آخر، اذا كنا نحن معشر المعلمين والمربين نريد ذلك فليس لان مدارسنا الحالية لا تقوم بواجبها بل لاننا نريد ان يبقى الانسان اللبناني متمتعاً بمزايا الانسان الراقي الذي يسعى، ابداً ودائماً، الى الامام، في بناء الهيكل، هيكل الحق والمعرفة، ليبقى لبنان بلد العلم، وهل يكون لبنان بلد العلم الا عن طريق المدرسة ؟

والمدرسة التي نريدها، نريدها مدرسة جديدة مثلى وهي لا تستحق ان توسم بميسم الجدة والمثالية الا اذا توفرت فيها مقومات انشائية اضع في مقدمتها: الايمان. لا افهم كيف نستطيع ان نؤسس المدارس وان نبني الجامعات، فنحشد فيها الوفاً من الطلاب والطالبات، ونحن لا نستهدف من وراء عملنا الا المادة! ونحن لا نؤمن برسالة روحية نذرنا لها نفوسنا، راضين! او غير راضين!!

لا افهم كيف استطيع، انا المربي، ان اغرس في قلب الطفل الذي اريده بالتعليم والعناية، شيئاً من هذا العلم وهذه العناية، وانا اضحك في قرارة نفسي من العلم والتلاميذ!..

قدم الي رئيس احدى مدارسنا استاذاً من اساتذته على انه من خيرة اساتذة المعهد وخير من يمثله بين بقية المعلمين، ولم يطل بنا الحديث حتى صارحني الاستاذ الكريم، وكان الرئيس قد تركنا وحدنا، فقال: « ان في كلام رئيسنا عني الشيء الكثير من المغالاة، وعدم مطابقة الواقع ؛ فأنا لم امتهن التعليم الا عن حاجة، ولن امضي حياتي كمعلم رغم السنوات العشر التي صرفتها في هذا المعهد، انني لا ازال احلم في وظيفة حكومية او أسافر الى بلاد الغربة للعمل في التجارة ».

وانا اخاف ان يكون عدد المعلمين الذين يقولون قول صاحبنا غير قليل في لبنان وفي سواه من الاقطار العربية، ان مثل هذا التفكير يصدر عن رجل تقلب عشرات السنين في التعليم والتربية والتثقيف، لعار فاضح على الهيئة التعليمية في البلاد، وهو ان دل على شيء فعلى ايمان متزعزع بمهمة المعلم المقدسة، وان مثل هذا المعلم الذي صرح بما صرح، لمعول هدام في جسم الامة التي ارادته أساً من اسسها القومية المتينة.

ان التشوش الذي لحق بالنظم الاقتصادية في العالم ادى الى هذه الحروب المتتالية وزعزع المثل العليا في نفوس الشبيبة الطالعة، وكاد يقضي على الكثير مما في نفوسنا نحن المربين، وليس من قوة تستطيع ان تقف في وجه هذا التيار الجارف سوى الايمان، الايمان بقوتنا على الصمود في وجه البطل والجهل، وان باستطاعتنا، لا بل من واجبنا اعادة الايمان الى نفوس ابنائنا وطلابنا، ايماناً يحملهم على الاعتزاز بانسانيتهم التي تميزهم عن بقية العجماوات!.

ومن مقومات المدرسة اللبنانية المثلى ومزاياها الرئيسية: الاخلاق، والاخلاق التي نريدها حلية لمدارسنا الجديدة، لا تتغير ولا تتبدل بتغير الازمنة والامكنة. ان الاخلاق التي اعنيها ليست عبارة عن كلمات طنانة، فارغة يرددها الخطباء على منابرهم في كل سانحة تسنح، ولكنها قوى معنوية كامنة في اعماق النفس، تردعها عن ارتكاب المآثم والخطايا، وتهديها الطريق القديم ليشب صاحبها دعامة قوية للمجتمع، وضمانة كبرى للخير والحق.

حبذا لو استطعنا، في مدرستنا الجديدة، ان نسهر حقيقة

الاديان السماوية ، فنظهر امام طلابنا وطالباتنا ، مــا في هذه الاديان العظيمة من نبل وخير وتمجيد للفضــائل الانسانية ، اذن لاستطعنا ان نطمئن الى ان هؤلاء الطلاب سيكونون رسل الاخلاق القوية في مجتمعهم   ان الفضيلة يجب ان تبقى فضيلة في نظرنا حتى ولو كانت في عدونا فهل استطعنا ان نكبح ثورتنا الجامحة فنتعلم من مدرستنا الجديدة الا نشتم الغير ونحط من قدر الشعوب التي تختلف عنا جنساً وديناً لمجرد انهم من عنصر غير عنصرنا ! .

ان امام المدرسة اللبنانية المثلى التي نطلب تكوينهــا ، عملاً جباراً في محاربة هذه الآفة الفتاكة : الهزء بالاخلاق العالية ، والحط من رجال الشرف والدين ، والازدراء بكل ماهو حق ونبل وشهامة .

وتجيء المعرفة بعد الايمان والاخلاق ، عنصراً ثالثاً له اهميته وخطورته في تكوين المدرسة الجديدة وخلودها لتأدية رسالتها على الوجه الصحيح الكامل .

يجب ان نعترف بان مدارسنا لا تزال تحوم حول المعرفة حوماً دون ان تجرؤ على سبر غورها والنفوذ الى اعمق اعماقها . فهي تخاف ان تعرف كل ما يجب ان يعرف ، وما ذلك الا لجهلها ما يجب معرفته .

ان المعرفة التي نريدها دعامة من دعائم المدرسة الجديدة هي غوص عميق على النفس الانسانية لتفهم الغازها والاحاطة بكل ما فيها من معميات واسرار !! . هي النفوذ الى حقائق الكون السرمدية نفوذاً يخولنا ان نقف موقف العالم المطمئن الى عمله ، السعيد بمعرفته بعض هذه الحقائق التي تحيط بالانسان فتحمله على التساؤل الملح ، والاستفهام المكرر .

هي الانصباب الدائم على الكتب الكلاسيكية القديمة التي حملت بين طياتها روح العالم المتمدن القديم وحفظت في صفحــاتها تاريخ القرون الغوابر بما فيه من جمــال وبشاعة ، وقوة وضعف ، وحب وبغض . . هي الاطلاع الشامل على مآتي الامم ومآثرها ، القديمة منها والحديثة ، ونشر هذه المآثر على النــاس نشراً علمياً صادقاً ، لا تزلف فيه ولا محاباة ، بل حقاً صراحاً ، نقوله لوجه الحق وحده .

هي معرفة انفسنا وحقيقة ما نحن عليه من قوة وجبروت ، او ضعف وانخذال ، لنفاخر حيث يمكن المفاخرة ، ونصلح حيث يجب الاصلاح ، لا ان نقف في مناسبة وغير مناسبة ، متبجحين ، مفاخرين حيث لا مجال للتبجح ولا داعي للمفاخرة .

والمعرفة التي نريدها ، تستدعي فينا استعداداً كبيراً لقبولها وعملاً جباراً لتهيئة نفوسنا لمحبتها والتعلق بها . فالمعرفة لن تحل الا في النفوس المتعطشة الى سلسبيلها ، ولن تفتح في هذه النفوس آفاقها الواسعة الا بعد ان تتجرد من اهوائها الفردية ، وصغارها الذاتي وتعصبها البشع ؟ ان المعرفة الصحيحة تقود حتماً الى التفكير الجدي الرصين ، والتفكير يقود حتماً الى الخلق والابتكار ، والخلق هو غاية المدرسة اللبنانية المثلى .

والحقيقة عنصر رابع قوي من العناصر التي تقوم عليها المدرسة الجديدة . غريب حقاً ان يمتلىء تاريخ الانسانيه بهذه الخزعبلات فيموه المؤرخون حقائق التاريخ ويمسخونها ويقلبونها رأساً على عقب .

ثم تجيء مدارسنا فتلقنها طلابنا وطالباتنا ، على انها المثال الذي يجب ان يحتذى به ، والقدوة التي يجب ان يقتدى بها ! . فكل جبار غني هو بطل وطني صنديد ، وكل محرض على الحرب والقتل والتدمير هو مدافع عن الوطن المقدس ، وقومي مجاهد ترفع له التماثيل وتعفر عنده الجباه ، وتنحني امامه الرؤوس ! . اما اولئك الذين نذروا نفوسهم وحياتهم لعمل الخير والمحبة ، اما اولئك الذين جــاءوا الانسانية مبشرين ، هادين ، يرحمون الضعيف ، ويشدون ازره ، يؤاسون المريض ويأخذون بيده ، يطعمون الجائع ويسدون رمقه ، اما تلك المصابيح النيرة التي اضاءت بسناها ظلمات الانسانية جمعاء ، فيجب ان تطفأ وان توضع تحت المكاييل ، فأعين القوم لا تريدان تتطلع الى النور ، وهل تقدر الخفافيش ان تطير الا في الظلام ؟

غريب حقاً ان نصرف ايامنا في سن القوانين والشرائع ووضع الانظمة والدساتير لنحمي الانسان من عدوه الانسان ، والانسان قد تناسى انه أخ للانسان ، وليس هناك من يذكره بهذه الحقيقة ! .

غريب ان يطلع علينا محبو السلم والسلام ، بين الفينة والفينة بمؤتمراتهم السلمية ، واجتماعاتهم الانســانية ، في سبيل خدمة هذه البشرية المتألمة ، وهم لا يستطيعون ان يجردوا ما في نفوسهم من ضغينة وحقد ، وما في صدورهم من جشع ومطامع ، فتراهم يتلهون عن الحقائق الجوهرية بالمظاهر الخارجية والقشور الفارغة

فما لم نؤمن برسالة لبنان التعليمية ايماناً صحيحاً ، وما لم نجعل من الاخلاق ديناً لنا ولمدارسنا ، وما لم نكب على نفوسنا فندرسها درساً عميقاً لنتعرف اليها معرفة صحيحة ، وما لم نجابه الحقائق وجهاً لوجه ، ما لم نقف وحقــائق الكون السرمدية في صعيد واحد ، باحثين ، مجادلين ، متوخين الحق وحده لانه وحده هو الطريق المؤدي الى الخير والسعادة ، ما لم نسر في نضالنا التعليمي هــذا السير ، فلن تكون لنا المدرسة المثلى التي نريدها ، ولن نستطيع ان ندعي : اننا قد ساهمنا في بناء عالم احسن من العالم الذي نحن فيه .

موسى [illegible] خيمانه

حقوق الانسان الاساسية

بمناسبة المشروع الذي تبحثه الاونسكو عن حقوق الانسان

بقلم الدكتور صبحي محمصاني

✡

الانسان محور الحقوق جميعاً،فهي مبدئياً لا تكون الا له. واذا كانت مقيدة لمصلحة المجتمع في بعض الاحيان ، فليس هذا التقييد الا لمصلحة الانسان نفسه، الذي لا بد له من التعاون مع اخيه الانسان .

غير ان فئة من الحقوق اعتبرت اساسية حيوية ، واصطلح العلماء على تسميتها وحدها بحقوق الانسان ، وذلك تقديراً لاهميتها واحتراماً للقيم الانسانية الاصلية .

ولقد اوجزنا في مقال آخر تطور هذه الحقوق الاساسية وتدرجها في القوة والاتساع نحو الاتجاه الدستوري ، ثم الاتجاه الدولي .

ونحن الآن نبين اهم هذه الحقوق ، ونوضح معناهـا بصورة وجيزة . وهي تتعلق بوجه عام بذات الانسان وامواله، وما يتفرع عن ذلك من حقوق، وتدور اجمالاً حول مبادىء المساواة والحرية.

وان الحرية بلا ريب كانت ولا تزال اكثر حقوق الانسان اهمية ، واعظمها شأناً . وقد كانت ولا تزال اكثرها بحثاً وجدالاً . فهي نشيد الثائرين وسلاح الناقين في كل عصر ومصر.

ولا ريب ايضاً في ان مفهوم الحرية لم يكن دائماً على وتيرة واحدة. بل اختلف كثيراً باختلاف الناس وظروفهم وآمالهم ومطامعهم .

واذا اردنا ان نعرف الحرية بوجه عام ، قلنا انها الاذن باجراء عمل او الامتناع عن اجرائه، ضمن حدود القانون. وما دامت الحرية مقيدة بحدود القانون، فهي نسبية، وهي من ثم لا تكون حقيقية الا اذا كان القانون عادلا ، او كان مقيداً بدستور عادل .

وان الحرية على انواع اهمها : الحرية الشخصية وحرية العقيدة، وحرية ابداء الرأي والاجتماع والجمعيات وحرية التعليم ، وحرية العمل .

وقد اعتبرت من حقوق الانسان ، الى جانب هذه الحريات ، حقوق اخرى ، اهمها : المساواة ، وحرمة المنزل ، وحرمة الملك ، وغيرها من الحقوق . وفيما يلي شرح وجيز لكل منها .

اولاً – الحرية الشخصية : ومعناها حرية الفرد في التنقل كيف شاء ، وحمايته من كل توقيف او معاقبة الا في الاحوال والطرق المعينة في القانون .

وقد نص الدستور اللبناني على الحرية الشخصية ، في المادة الثامنة منه ونص قانون العقوبات على حماية هذه الحرية ، بتقرير مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، وبمجازاة جرم حرمـان الحرية (المواد ١ و ٦ و٥٦٩) وكذلك نص مشروع اللائحة الدولية على منع التوقيف او الحبس الجائر ، في المادة السابعة منه .

ثانياً – حرية الفكر والعقيدة : وهي تشمل حق الفرد في اختيار عقيدته الدينية ، وفي اقامة ما تفرضه هـذه العقيدة من الشعائر ، على ان لا يكون في ذلك اخلال بالنظام العام .

اقرها الدستور (المادة ٩) وحماها قانون العقوبات (المادة ٤٧٣ وما بعدها) في لبنان واعلنها مشروع اللائحة الدولية (المادة ١٦) .

ثالثاً – حرية ابداء الرأي : ومعناها حرية الكتابة والكلام والنشر ، بشرط مراعاة القوانين الخاصة بذلك .

وهي حرية اقرتهـا معظم القوانين الداخلية والدستورية ، ومشروع اللائحة الدولية لحقوق الانسان (المادة ١٧) .

رابعاً – حرية الاجتماعـات وتأليف الجمعيات : هذه الحرية من متممات حريـة الفكر وحريـة ابداء الرأي . وقد اقرها الدستور اللبناني ايضاً (المادة ١٣) والقوانين الخاصة بالاجتماعـات والجمعيات ، ومعظم القوانين والدساتير ومشروع اللائحة الدولية (المادة ١٨) .

خامساً – حرية التعليم : وهذه ايضاً من متفرعات حريات الفكر والرأي وقد اثبتها الدستور اللبناني (المـادة العاشرة) ، مشترطاً عدم الاخلال بالنظام العام او التعرض للآداب او لكرامة احـد الاديان والمذاهب .

وقد اختلفت تفاصيل تطبيق هذه الحرية فبعض البلاد اوجبت منهاجاً خـاصاً بالتعليم ، والبعض الآخر اوجب التعليم الالزامي بشروط معينة مختلفة .

ولما كان العلم والتعلم من مقتضيات الحياة العصرية ، فان حق التعلم والتثقف اصبح من حقوق الانسان الاساسية في بعض البلاد . وقد اعلنه مشروع اللائحة الدولية (المادة ٢٣) مؤكداً حق الفرد في التعليم البدائي والتربية الاساسية ، وموجباً ان يكون التوجيه في ذلـك نحو تنمية شخصية الانسان ، واحترام حقوقه وحرياته الاساسية ، ونبذ التعصب والبغضاء تجاه الامم والعناصر

والطوائف الاخرى .

سادساً – حرية العمل : ان هذه الحرية من الحريات الاساسية التي لعبت دوراً اجتماعياً كبيراً، لا سيما على اثر ظهور الثورة الصناعية في اوائل التاريخ الحديث . وقد نشأت بسبب هذه الحرية نظم اجتماعية وسياسية جديدة ، ومذاهب ونظريات مختلفة، ومن هذه جميعاً المذاهب الاشتراكية والشيوعية .

ومن الغريب ان نرى بعض النظم الجديدة ، التي قامت على اساس حماية العامل وحرياته ، قد نظمت العمل تنظيماً يكاد يقضي على حرية العمل قضاء تاماً .

وبكلمة وجيزة ، تشمل حرية العمل حق الفرد في العمل او في الامتناع عنه ، وفي اختيار هذا العمل ونوعه ، وفي تعاطي التجارة والمهن والحرف والصناعات، وفي دخول النقابات والخروج منها والاشتراك في الاضرابات السلمية، ضمن نطاق القانون والمصلحة العامة .

وقد نصت القوانين الحديثة على تفصيل ذلك تفصيلاً، يضيق المقام عن ايضاحه .

سابعاً – حرمة المنزل : هذه الحرمة نتيجة طبيعية للحرية الشخصية . ومعناها تحريم دخول منزل الغير بدون اذنه، او بدون سبب قانوني كدخول المنزل للتحري اثناء التحقيق الجنائي وما اشبه .

وقد عينت القوانين حدود هذه الحرمة ، وحددت قوانين الجزاء عقوبة خرق حرمة المنازل (مثلاً المادة ٥٧١ من قانون العقوبات اللبناني) . ونص الدستور اللبناني (المادة ١٤) على ان للمنزل حرمة لا يسوغ لاحد الدخول اليه الا في الاحوال والطرق المبينة في القانون .

ثامناً – حرمة الملك : ان حق الملكية من الحقوق القديمة المقدسة، وقد رتبت القوانين طرق حمايتها واوجبت مجازاة الاعتداء عليها .

وهذا الحق يستتبع حق التصرف في الملك ، وحق الاتجار والتعاقد عليه . ويستتبع منع انتزاع الملك من قبل الدولة ، الا بطريق استملاكه للمنفعة العامة ، في الاحوال المنصوص عليها في القانون ، بعد دفع التعويض العادل (المادة ١٥ من الدستور اللبناني والمادة ١٥ من مشروع اللائحة الدولية) .

تاسعاً – المساواة امام القانون : الى جانب الحرية بانواعها المختلفة، تعتبر المساواة من حقوق الانسان الاساسية .

ويجب ان لا يفهم بذلك المساواة الطبيعية ، ولا المساواة الاجتماعية . فالناس بطبعهم متفاوتون في اعمارهم ، واشكالهم ، وعقولهم ، وذكائهم، وقوتهم ، واخلاقهم، وطبائعهم . وكذلك هم متفاوتون في حياتهم الاجتماعية، وفي حظهم من الجاه والثروة، وما اشبه .

فاذن ، المساواة التي اقرتها القوانين والدساتير هي المساواة المدنية فحسب ، اي مساواة الناس امام القانون ، دون تمييز بين عناصرهم ومذاهبهم وطوائفهم واجناسهم والوانهم، اي دون تمييز مثلاً بين المرأة والرجل، او بين الابيض والزنجي، او بين المسيحي والمسلم .

وقد طبق الدستور اللبناني هذا المبدأ، فنص على ان « كل اللبنانيين سواء لدى القانون، وهم يتمتعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية . ويتحملون الفرائض والواجبات العامة دون ما فرق بينهم » وان « لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة ، لا ميزة لاحد على الآخر الا من حيث الاستحقاق والجدارة ، حسب الشروط التي ينص عليها القانون . » (المادتان ٧ و ١٢) .

عاشراً – حقوق اخرى : الى جانب ما ذكرنا من الحقوق الانسانية الاصلية ، توجد حقوق اخرى من نوعها ، لا نرى مجالاً لتفصيلها . وهي معروفة بوجه عام في معظم القوانين والدساتير في البلاد الراقية .

وفوق ذلك فان مشروع اللائحة الدولية لحقوق الانسان اقر فئة من الحقوق، لم نرها جميعها في النصوص التشريعية او الدستورية، بل كانت الى اليوم موضع بحث الفلاسفة والعلماء، ولو كان لا خلاف على قبول القسم الاكبر منها ، باعتباره من فروع الحقوق التي ابديناها سابقاً ، وباعتباره بوجه خاص من نتائج الحرية الشخصية وغيرها من الحريات التي قدمنا بيانها .

مثال ذلك ، اقر المشروع الجديد حق الانسان في الحياة، وفي الزواج ، وفي السمعة ، وفي التنقل وفي تغيير الجنسية، وفي الراحة والاستجمام ، وفي التمتع بالفنون وبالحياة الثقافية والاكتشافات العلمية وما اشبه ،

وكذلك ايد المشروع قيمة الشخصية الانسانية ، وبراءة الذمة الاصلية ، وحق الدفاع والتقاضي امام قضاء مستقل نزيه ، وتحريم الرق ، ومنع تعذيب المتهم ، وتحريم القسوة في العقوبات ، وما الى ذلك .

واني ، في ختام بحث حقوق الانسان الاساسية ، انقل مبدأ عاماً ، يجملها جميعاً ، وهو قد ورد في المادة الاولى من مشروع اللائحة الدولية ، كما صودق عليها نهائياً بهذه العبارة الرائعة .

ان جميع بني الانسان خلقوا احراراً ، متساويين في الكرامة والحقوق . وقد وهب لهم العقل والضمير ، وعليهم معاملة بعضهم بعضاً بروح الاخاء » .

صبحي محمصاني

ونوقف انين الرحى برهة ، واخذت فطومة تمسح يدهـا الندية بثوبها الازرق الراهل ، وتطلق نظرتهـا الساهمة في عطاف الليل الحادب فوق الخرائب .

كان القمر الاشوه يرمق الدنيا بعين جامدة ، ويلقي ظـلاله الحـاملة على الارض السكرى بالجرة الصيف . . والهواء الراكد يتململ احياناً ، فيفوح في القفر اريج القيصوم ، وتتهـامس النسم العابرة بين اعقاب السنابل والاشواك الهرية حاملة من الارجـاء صهيل الخيول وحنينها ولوعتها ، ناشرة حول الاكواخ همهمة الشياه الرابضة وسعالها وتخيرها . وبين آن وآن يمتد في جوف السكون عواء طويل كئيب تطلقه ثلة من بنات آوى ، وترد عليه عاصفة من نباح الكلاب . ثم ما تلبث العـاصفة ان تنجلي ويعود الى القفر هدوؤه ، فيتعالى نقيق الضفادع وصرير الجنادب من ضفاف السواقي المرتعشة تحت لمسات القمر . . في انسيابهـا البطيء نحو الخرائب .

وكانت النسمة العابرة تحمل احياناً انين الجواريش واصوات النسـاء وشجارهن ومغازلات القطط ولغط الرجال وقرقعة فناجين القهوة واوامر شيخ القرية ، وكانت تحمل احياناً همسات الدوحة الحانية فوق سقيفة فطومة وخرير المياه المرتطمة باحجار الساقية و زفرات فطومة واحاديث قلبها واحلام ابنتها العمياء الراقدة في زاوية من الكوخ . .

فطومة

القصة الفائزة بمباراة الاديب

بقلم عبد الملك نوري

عادت الرحى تئن تحت قبضة فطومة ، وعـادت فطومة الى احلام قلبها تنشرها في الظلام ، فتتشكل قصصاً نابضة بالحيـاة ، تمازج ذكريات الماضي فيها آمال الحاضر ، وتنساب بينها نغمة متصلة حبيبة الى قلبها ، ما ينفك ينشدها ويكرر انشادها . . . فتخفق كل ذرة في جسدها العامر المكين ، ويخالجها شعور الفتـاة الولهى الموجسة في الظلام لقاء الحبيب . ويغمرهـا فيض من الاحاسيس اللذيذة المتنوعة ، وتنتشر ابتسامة هادئة في غضون وجههـا ، ويلفظ قلبها آهاته الحبيسة ، ويردد بالحاح نغمته الاثيرة الحبيبة اليه : «غداً مع شروق الشمس . غداً . .» ثم تحس بدنو ما يشبه الغمامة البيضاء ، وتروح في نشوة من خيال تحدق في العينين الخافتين تحت حاجبين اشيبين ، وفي الوجه المكدود المنغضن تحيطه هالة من الشعر بيضاء ، وفي الجبين الضيق المحدد والقامة الحانية المتشـاتة بعباءة بيضاء . . ثم ترهف السمع بجرص شديد للصوت الشـائخ العميق ينبثق رويداً كالدوي الخارج من اغوار كهف مظلم :

— سيأتي غداً مع شروق الشمس ، سيأتي منصور ومعه خير كثير . .

— وهل رأيته ، بالذات ، عماه ؟

— بعيني هاتين ، فليطفئهما الله ان كنت كاذباً .

— وماذا قال لك ؟

— اوصاني ان اقول لك انه آت مع شروق الشمس غداً .

« آه . . غداً . . مع شروق الشمس . . غداً . . » وتتبدد الغمامة البيضاء في الظلام ، ويتوقف انين الرحى ، فتنهض فطومة بقلب طروب عامر بالامل الى الفراش البـالي المنبسط على الدكة القائمة في صدر الكوخ ، الفراش الذي شهد ليلة زواجهـا بمنصور منذ خمسة وعشرين عاماً .

وبنو عن فطومة الكرى ، وتتقلب في مضجعها آونة طويلة . ثم تهدأ حركتها وتصغي للسكون المرفرف فوق القفر ، فيتوارد اليها مزيج من نقيق الضفادع وعواء الكلاب وخرير الساقية وشخير ابنتها . . وتحين منها التفاتة الى المنخل المعلق على الحائط تتراقص فوقه اشعة القمر ، وتذكر فجأة حمار جارها الذي نفق صبـاحاً والشيخ الذي حمل لها نبأ عودة منصور ، ومستقبل ابنتها العمياء ، وحديث جارتها عن « القاريء » الذي يفتح عيون العميان في المدينة ، وفتاتها التي ترقد تحت التراب غير بعيد من الكوخ ، وابنتهـا المتزوجة . . وزوجها الذي يعبث ابداً بشاربيه ، وحديث السمن والارز والحنطة والشعير ، وارتفاع الاسعار ، وصعوبة العيش فيما يقبل من الايام . . وبين كل ذلك تتدخل نغمة قلبها الحبيبـة اليه طاغية ، جارفة . . . فتخفق كل ذرة في جسدها العامر المكين وتغمض عينيها وتردد في سرها بارتخاء لذيذ : « غداً من شروق الشمس . . غداً . . » وتنتشر ابتسامة عريضة في غضون وجههـا .



ويمضي الليل وئيداً وافياً ، يسحب وشاحه الفضي فوق القفر ، وتحس فطومة باطمئنان عميق ، وتستغرقها نشوة حالمة ، ويسترخي جسدها في سكرة من سكرات اللذة الحبيسة الجامحة ، وتهتاجها الذكريات ، فتشبك يديها فوق ثدييها ، وتهصرهما بشدة ، بشدة . وتمر على وجهها الندي نسمة لاهفة ، وتهمس الدوحة الحانية فوق السقيفة همسات متصلة ، وترتعش المياه في السواقي ، ويصيح ديك من بعيد اخطأ تقدير المواعيد ..

وتستنيم فطومة برهة للذة المنسربة في الحلمتين النابضتين تحت يديها ، وتنبثق حبيبات العرق من مسام جسدها المضطرم ، تعقد حوله الارض والجدران زفراتها الشائظة ، ويروعها فجأة احساس بالفراغ .. . الفراغ الهائل في صدرها وفي حياتها وفي كل شيء ، وتتلفت متأوهة الى مكان زوجها من الفراش ، وتذكر الليالي التي امضتها ناحبة مستوحدة ، فترتخي ذراعاها ، وتهبطان الى جانبيها ويعود ثدياها طليقين ، وتعود الحلمتان للتخاذل والانكماش . وتحس بجفاف ريقها ، ويلوعها ظمأ شديد ، ويتمثل لها الكوز موارا يرشح من جوانبه الماء .. ولكنها ترجيء النهوض في غمرة من احاديث نفسها الطاغية ، وتضطرب شفتاها بهمس لاغط : « خمسة عشر عاماً .. آه ياظالم .. لا مكتوب .. لا كلمة .. ولا رسول .. احي ، ميت ؟ لا احد يدري !! اين قضيت كل هذه السنوات ، لم تسأل عن حرمتك ، عن اطفالك ، عن بكرك التي ماتت .. تغربت هكذا وحيداً ، مشرداً في البلدان .. تركت كوخك ، تركت اهلك وعشيرتك ، اين يا خائب ، اين قضيت كل هذه السنوات .. في اي غربة .. في اي دارة ، في اي مكان ؟ آه . نسيتنا يا منصور .. نسيتنا كل هذا العمر الطويل ، ولم ننسك ابداً .. » وتذكر خطاباً اقبلوا عليها بعد هجرة زوجها ، وكدها المتصل في سبيل العيش وآلام الفاقة والعوز وموت ابنتها بدوية ، ومذلتها بين قومها . وتحار في عينيها دمعتان ، وتنهض منتفضة ، مسرعة الى الكوز الصغير المسند الى الحائط ، ترفعه بيدين مضطربتين ، وتنهال على فمه الندي بشفتيها الظامئتين ، فينساب الماء الى جوفها عذباً رقراقاً ، ويسيل بعضه فوق خدها ونحرها ، ويقطر بعضه على ثوبها الازرق الراهل ، وتعود الى الدكة وقد احست بشيء من الراحة ، وتجلس على حافة الفراش ، وتطلق نظرتها الساهمة في عطاف الليل الحادب فوق الخرائب ، وتعروها فجأة رعدة باردة ، فتنقبض ملامح وجهها ، وتمد اصابعها المترددة الى فتحة ثوبها ، تتلمس مواضع البلل وتهيم بين ثدييها المقرورين ، وتتعاقب امام ناظريها صور من مآسي حياتها في الاعوام الماضية :

– انتهى اليوم موسم الحصاد ، فطومة ! – الله كريم .

– اقول لك انتهى كل شيء . لم يعد لي رزق هنا !

– ربنا كريم . – آه ، انت . يا امرأة .

ويلقي منجله بحنق في زاوية من الكوخ ، ويضطرب هيكله الضخم في غبش المساء ، منسحقاً تحت وقر الالم : – تعالي ، اغسلي رجلي ، هاتِ الماء .. !

وتمضي فطومة بالقدر الفارغة الى الساقية ، وتشارك في مؤتمر النسوة المنعقد حولها .

وتمر برهة طويلة ، فينفد صبر منصور ، ويصرخ هائجاً : – اين انت ، فطومة ؟ فطست ؟

– اوه ! اصبر قليلاً ، لقد صبرت تسعة اشهر في بطن امك . وتتلكأ في مشيتها عمداً ، ثم تربض عند قدميه بتراخ ، فيتناول القدر من الارض بعنف ، ويقذف الماء في وجهها ، وترتعش النسائم فوق صدرها المبتل ، وتعروها رعدة باردة .

– اصبر ؟ هكذا اصبر يا ابنة الكلب . ويركلها ركلة قوية .

« .. تسبل الشمس ضفائرها الذهبية فيما وراء القفر ، وتغيم الدنيا في عيني فطومة ، ويعصف الالم في احشائها عصفاً شديداً موجعاً ، ويتعالى من حولها لغط لا يكاد يبين : – دنت ساعتها .

– نعم .. نعم ..

– ان شاء الله يكون ذكراً .. – الله كريم .

– واذا كانت بنتاً ؟ – صه .. صه ! – ارفق ، ربي .. بهذه المسكينة !

– فليحفظها الله من بطش منصور .. – استغفر الله ، ربي .

وتمزق لغط النسوة صرخة حادة ، وتغيب فطومة عن الوعي برهة ، ثم تفيق لتسأل بصوت كالهمس : – ماذا . ؟

وتشهد الوجوم حولها ، فتفهم وتغمض عينيها .. وتدوي في رأسها صيحة منصور زمناً طويلاً :

– لعنة ثالثة ، يا ام اللعان ! هه .. هذا بطنك القذر لا يحمل غير الاناث .

وتذهب (ام اللعان) في القرية مثلاً سائراً ..

– اين بدرية . ، يا امرأة ؟ – ذهبت الى عرس صفية .

– وتركتها تذهب وحدها ؟ تسع سنين عمرها .. اهل للزواج ، وتتركينها تذهب وحدها ، لم تسيبين عرضنا في الدروب ؟

— اوه ، منصور لا تجعل الحبة قبة ! — بل اتركك قوادة لها .

وتنظر اليــه نظرة كره ونقمة : — اذا تكلمت اكثر فساشق ثوبي واخرج عارية بين الناس .

— تقدرين ، تقدرين . . يا ابنة الـ . . وتتدفق الشتائم البذيئة من فمه اندفاق السيل ، وتنهال على جسدهــا قبضتاه وقدماه ، ويتزف انفها دماً . .

. . القمر يسكب ضوءه على وجه منصور الغاضب ، وفطومة تتمدد الى جانبه على الفراش ، وجــلة متنظرة هبوب العاصفة .

— اقول ، يا ام اللعان ، ماذا كنت تفعلين حتى الساعة مع الفحل؟

— وتدهش فطومة لهدوئه : — كنت احدثه ، أحرام علي ان احدث اخي ، ابن امي وابي ؟

— آه . . كنت تحدثينه . . انا لا اريد هذا العاطل ان يدخل بيتي بعد الآن . انا عندي بنات .

— اسكت لئلا يسمعك الناس — العن اباك وابا الناس ، انا لا اريد هذا الكلب ان يدخل بيتي . .

— اف لذاك اليوم الاسود — اخوك ، ابن امك وابيك ، ماذا يصنع هنا كل ليلة ؟ هل ابقى عندك درهماً يا مسكينة ؟

عميت عيناي في غزل الصوف .

— استغفر الله ، ربي . . . هه . . . ام اللعان ، تعالي اسألك سؤالاً . . ويشدها من ردنها بعنف . — دعني . . دعني . . !

— اخبريني اذا بليت النعل ماذا يصنع بها صاحبها ؟ — لا اعلم .

— بل تعلمين جيداً ، انه يجب انتعال اخرى جديدة .

— اتريد ان تتزوج يا خائب ؟ — ولم لا !

— والمهر كيف تدبره ؟ انك عاطل . — آه ، يا بنت الكلاب .

ويقذف في وجهها بصقة كبيرة . .

. . دخان التنور يكتنف فطومة ، وألسنة اللهب تضطرب بين يديها ، وتلقي على وجهها ضوءاً احمر ساطعاً ، ومن فوق الدكة يصيح منصور بحدة : — بدرية . . يا بدرية !

— ماذا تريد منها ، دعها تعجن . . اريد كأس السمن .

— لا يوجد عندنا سمن ، افطر بشيء آخر . ! — عجيب .

— السمن غال هذه الايام . . افتح انت كيسك واشتر !

— آه . . يا ام اللعــان ، لقد اذللتني في بيتي . لاخيك كل شيء حلال ، وعلي كل شيء حرام .

انتظري اريك النجوم في وضح النهار . .

ويقفز من الفراش مسرعاً ليضربها ، فتهرب منه منطلقة الى خارج الكوخ . .

. . الشيخ الهرم جالس في كوخه ، يعبث بمثونه ويتأمل ابنته فطومة بعينين دامعتين : — كم مرة قلنا لك يا ابنتي ، اقنعي بمــا كتب لك الله ، وابقي عندنا . . !

— لا . . يا ابي . . لا استطيع . . ويثور اخوها راعداً :

— لا تستطيع ، لا تستطيع ! انظر الى ذراعيها ، الى فخذيها . انها تحب الضرب ، انها تحب منصور ، انها لا تقدر ان تفارقه لحظة واحدة . .

وتتدخل جارة عجوز : — ولم لا تحبه؟ زوجها ، رجل صباها وابو بناتها . حرام يا ناس ، حرام ان تفرقوهما . ! انه الله سبحانه وتعالى يودع قلب المرأة حب رجلها ويودع قلب الرجل حب امرأته في اول ليلة لهما . . وتعود فطومة الى كوخها ، وتتذكر في الطريق ليلة زواجها . .

. . ها هي في الثامنة عشرة ، موردة الخدين ، ناهدة الصدر ، فارعة القامة ، قوية الجسم . . تجلس في زاوية من الكوخ ، ومنصور يحوم حولها تحرجاً . انها لا تكاد تعي شيئاً ، وانما تحس مــا يشبه الدوار ، وقلبها يخفق بشدة . ان شعلة الشمعة الغليظة الصفراء ما تزال تضطرب امام عينيها ، ورائحة ماء الورد تغمر خياشيمهــا ، والضجيج يتوارد اليها من وراء الكوخ ، واصوات المزامير والطبل ترسل رعدة في جسمها ، ووجوه النسوة المطلية تتخاطف في ذهنها المضطرب بسرعة عجيبة : ها هي ذي خضيرة تريها طعنة خنجر في ذراعها وتلقي في اذنيها نصائح سافرة . . وها هي ذي نورية تتخطر بين الحشد الهائل بردفيها الثقيلين وثدييها المنتفخين ، وتهمس عفيفة في اذنها : انظري الى هذه التي تتبختر كالطاووس ، لقد ملأت الدنيا صياحاً ليلة زواجها ، ولم يجد زوجها مناصاً من ربطها بالحبال . يا للهول ، وتذكر فجأة وجهاً شاحباً وحزيناً وعينين دعجــاوين وشعراً اسود سبطاً ، وصاحبة هذا الوجه التي القت بنفسها في النهر مؤثرة الموت على الزوج . .

ويقترب منها منصور ، فتجفل . . ويزداد خفقان قلبها . ان كلماته تطن في ذهنها طنيناً مشوشاً ، مزعجاً . انه يداعبها ، فلا تفهم ما يريد . وتحاول الكلام احياناً ، فلا يسعفها لسانها . لقد احست به قطعة جافة من الجلد لاصقة في قاع فمها ، ولم يعد لديها قطرة من ريق . ان منصور يتحدث اليها وهو يخلع ثيابه ، فتضطرب اقواله في ظلال وعيها ، ويشتد الدوار في رأسها : — اتدرين كم كلفتني يا فطومة ؟ — وكم معركة خضت لاجلك ؟ — لقد انتظرتك خمس

سنوات – مالك تنظرين دائماً في الارض ! – الا يروقك شكلي ؟

– ها ها هاه . انظري الي مرة واحدة على الاقل – ارفعي رأسك قليلاً – آه . كأنك الليلة جالسة في مأتم – انا حليلك ، فطومة .. انظري الي ! .

وتنظر اليه بعد محاولات عديدة ، فتلمح ابتسامة فتية حلوة تحت شاربين صغيرين ودمعتين ، وتلفظ آهة طويلة .. وتمضي الليلة فيما يشبه السحر ، فلا طعنة خنجر ولا ربط بالحبال ولا عنف ولا اكراه .. وانما هو نعيم مقيم ولجت اليه رويداً رويداً بفضل منصور ..

وتنتقل فطومة من ذكرى الى ذكرى ، وقد نال منها التعب ، واثقل جفنيها النعاس ، فتتمدد على الفراش الذي اضحى – لشدة ما نالت منه الليالي – رقيقاً لاصقاً بالدكة ، تطل من شقوقه خصل القطن الكدراء .. ثم يبدو لها لحظة وجه منصور العابس وكتفاه العريضتان ، وترقبه بألم وهو يتولى عنها مع الظهيرة الى حيث لا تدري . « انا ذاهب . لا تنتظري عودتي ! » وتظل خمسة عشر عاماً تسائله بقلب ناحب : « الى اين ذاهب ؟ » فتجيبها الدوحة الحانية فوق السقيفة بهمساتها الحزينة اثناء الصيف ، ويجيبها القفر الواسع بهديره الموحش في ليالي الشتاء العاصفة .

وتظل خمسة عشر عاماً وفية لذكراه ، تنتظر عودته في كل لحظة ، وتحلم فيه ليل نهار .. وهو .. وهو .. ؟ « آه يا كافر . لا بأس لقد عدت اخيراً .. ! » وتنتشر ابتسامة في غضون وجهها ، ويعود قلبها يردد اغنيته المحببة اليه : « غداً . مع شروق الشمس غداً .. وتغمض عينيها .

وتعود الحياة تتثاءب في القفر بعد غفوة ليلة محمومة ، وتنشط النسم العابرة بين اعقاب السنابل والاشواك الهرية ، وترنق الشمس في كبد السماء ، تصلي الرعيان بشواظها اللاهب ، وترقد الكلاب جائعة لاغبة في ظلال الاكواخ ، وتضج العصافير الناشطة للحب والطعام في رأس الدوحة الحانية فوق سقيفة فطومة . وتتلفت فطومة في كوخها مرتبكة مضطربة ، تسائل نفسها بين هنيهة واخرى : « كل شيء جاهز ، ولكن اين منصور ؟ » وتكاد الدموع تطفر من عينيها كلما سألتها ابنتها العمياء :

– اماه ، ألم تري ابي حتى الآن ؟ – لا ، يا ابنتي .

وتظلل عينيها بيدها ، وترسل نظراتها الباحثة الحيرى في جميع الجهات ، وتند عن صدرها انة : « قال مع شروق الشمس . آه يا ظالم .. الا يكفي انتظار خمسة عشر عاماً ؟ » ويضل بصرها الممتد لحظة في ارجاء المرزة الخضراء المترامية عند الافق ، ثم يرتد خائباً ، محزوناً يتعثر بين الخرائب المجاورة : هذا كوخ محسن الذي انجبت امرأته ولداً قبل بضعة ايام ، وهذا جحش صغير يرضع ثدي امه بنهم ، وهذا سرب من الدجاج ينثر الروث بين ارجل فرس ربطت الى معلفها ، والفرس تنش الذباب بذيلها وتضرب الارض بحوافرها .. وذاك رجل يزيح عرق جبينه بابهامه ويعمق الساقية بمسحاته . وتلك امرأة تتحدث اليه وتملأ جرتها . وهناك شرذمة من الرجال يغادرون القرية على ظهور الخيل .

وتتساءل فتاتها مرة اخرى : – اماه ، ألم يأت ابي ؟ – اوه ، كفى .. لا تسألي ! .

وتصمت الفتاة . وتغص الام بألمها ، وتلتمع الدموع في موقها ، وتنقلب الى شؤون الكوخ في محاولة للتسرية عن نفسها ، فتحكم وضع القدر فوق احجار الموقد ، وتنقل الرحى من زاوية الى زاوية وتنضح الارض بالماء المرة الثالثة ، وتلقي نظرة هنا ونظرة هناك . وتعدل اطراف البساط الذي تقتعده ابنتها . ولكنها تتوقف فجأة وتصيخ السمع باهمان ..

– اماه .. جاء جاء ابي .. ! – آه .. لعل .

وتشتد الجلبة الصادرة من وراء الكوخ ، وتقترب رويداً رويداً ، فتتضح اصوات اناس كثيرين لا تعرفهم ، ويرتفع لغطهم المختلط .. بل هذه سعلة منصور المقتضبة الحازمة هي هي لم تتغير . وهذه رؤوس الخراف تطل عليها من الباب تعلن مقدمه . ويشتد وجيب قلبها وتتحامل على ساقيها حتى تصل الباب . ثم . ثم ترى نفسها وجهاً لوجه مع منصور ، ذلك الجبار العتيد الذي لم تنل منه السنون .

– ايه ، فطومة . كيف حالك ؟ – يا عين فطومة . اهلاً وسهلاً ، اهلاً ومرحباً .

وتحاول ان تطلق زغاريدها في الفضاء قبل ان ترتمي على صدره ، ولكنها تتسمر في مكانها واجمة ، قانطة ، ويشرع منصور بتقديم افراد عائلته الجديدة :

– هذه اختك ناصرية ام الولد ، وهذا خادمك جسام ، وهذا ياسين وهذه سعدية ، وهذا الشيطان الصغير محمود .. اذهبوا .. اذهبوا .. سلموا على فطومة ! وبينما يتهافت الولد على يديها لتقبيلها ، ترفع عينيها المخضلتين وتنظر الى السماء ..

أذار   عبد الملك نوري

الشعر في رسالة الاونسكو

بقلم عبد اللطيف شرارة

اذا اخذت تدرس تاريخ الانواع الادبية من القصة، الى البحث العلمي، الى الخطبة، الى الشعر، الى المقالة، وقعت على ظاهرة غريبة طريفة؛ وهي ان المجتمع، اي مجتمع كان، لم يُقبل مرة من المرات على الشعر، ولا استطاع في عصر من العصور ان يهضم الشاعر كشاعر، ان في تصرفاته الخاصة، وان في اتجاهاته وآرائه العامة:

هذا افلاطون سيدُ من فكر من القدامى يخصص في «جمهوريته» فصلاً يندد فيه بالشعر والشعراء، ويحمل عليهم حملة شعواء لا توازيها حملة، وينتهي به الامر، او الفكر، الى طردهم من مدينته وايصاد ابوابها دونهم. فاذا انتقلت الى العصور الوسطى، وهي المتشبعة بالروح الديني، الموغلة في دنيا الزهد والعبادة والتصوف، وقعت على هذه «الوحشة» بين الشعراء ومجتمعاتهم، ورأيت فيما ترى، ضروباً من الاتهامات والزرايات بالشعر والشعراء لا تعد ولا تحصى من رميهم بالزندقة، الى حشرهم في زمرة المشعوذين، الى اعتبارهم سحرة او افاكين او بهلوانيين، الى آخر ما هنالك من صور منفرة مقلقة، تنزع ثقة الناس منهم وتتركهم في غربة عن العالم.

اما في العصور الحديثة — وعصرنا هذا على الاخص — فقد تحول النظر، نظر المجتمع، عن فلسفة افلاطون كما تحول عن الاخذ بالتقاليد الدينية، واتجه نحو العلم المادي الصرف يرجو حل مشاكله على يديه، ويطلب اليه العون في اكثر ما يعرض له من ظواهر الحياة والطبيعة والاجتماع. فكان منه ان ارجع الشعر والشاعرية الى الطب النفسي، وراح يحلل ما يصدر عن الشاعر من احوال واقوال تحليلاً علمياً خالصاً، واذا هو — اي الشاعر — كائن شاذ مريض، بعد ان كان خيالياً وزنديقاً..

هذي هي مصيبة الشاعر بالمجتمع منذ اقدم الازمان الى يومنا هذا، ولكن اعد النظر في التاريخ من زاوية ثانية، تجد ان هذا الركام من البشر الذي نسميه «مجتمعاً» لم ينتصر مرة من المرات على الشاعر، بل كان المجتمع يندحر كل مرة في كل معركة يخوضها ضد الشاعر، وكان يضطر — بعد ان ينفث سمومه، ويستنفد كل ما عنده من عوامل الاذى واسباب العدوان ووسائل الايلام — كان يضطر الى تعظيم الشاعر وتمجيده وتخليد ذكراه وتقديم ما يملك من أعذار ومبررات. هذي هي قصة هوميروس،

وهذي هي قصة المتنبي وابي العلاء ، وهذي هي قصة شكسبير بل هذي هي حكاية كل شاعر كبير . فما سر هذه الظاهرة يا ترى ؟

— الواقع ان المجتمع لا يوفق الى « فهم » الشعر ، ولا يحاول ان يفهمه ، لان هناك ما يصرفه عن الشعر الى شؤونه الشخصية المادية المباشرة . فهل نطالب التاجر الغارق الى اذنيه في حساباته ووارداته وصادراته وارباحه ورأس ماله ، هل نطالب اليه ان يكرس لنا اوقاته — واوقاته كلها لا تكفي ! — لادراك الدقة في بيت لأبي الطيب ، او الروعة في مقطوعة لابن الرومي ؟!

— اذا فعلنا ذلك ، نكون قد تجاوزنا طبيعة الاشياء وطلبنا اليها ان تعطينا ما ليس عندها . وكذلك هي الحال مع العامل والفلاح والطبيب والمحامي والمهندس ، وسائر طبقات المجتمع البشري ، فالمشكلة لا تحل ، ولا يمكن ان تحل ، وهذه الخصومة بين الشاعر والمجتمع ستبقى قائمة الى الابد ، ولا سبيل فيها الى اصلاح ذات البين . هذه عداوة عريقة تمتد في جذورها الى اعمق اعماق الوجود ، وترتكز في طبيعة المجتمع نفسه ، وفي طبيعة الشاعر نفسه ؛ فلا مجال الى زحزحتها واحلال السلام أو الوئام محلها ، وهي الى ذلك تقليدية ألفها المجتمع كما ألفها الشاعر ، واصبحت في كل منهما جزءاً متمماً لشخصيته ، فاذا تخلى عنها الشاعر فقد اعز ما يزينه ، واجمل ما يزدهي به ، واظهر ما يدعو الى احترامه واكباره ، اعني شاعريته ، واذا تخلى عنها المجتمع كان ذلك في فترات عابرة ، وظروف غير طبيعية يخضع فيها — كعادته — لاولي الامر فيه ، وذوي الشأن من حكامه وقادته ، كما حدث لغوته حين تقلد الوزارة ، أو للامرتين حين اضطلع بالرئاسة ، وكما حدث للوليد بن يزيد الخليفة الشاعر الذي كلفته شاعريته عرشه وتاجه ، ولابن المعتز الذي قضى يوماً ونصف يوم خليفة ثم وجد قتيلاً في العراء مكفناً بثيابه مغسلاً بدمه .

على ان من الخير ، كل الخير للمجتمع ، ان تدوم هذه العداوة بينه وبين الشاعر ، لانها وان اتخذت شكلاً سلبياً ، ذات أثر ايجابي فعال في رفع مستوى الجماهير وايقاظ ما ركد من معاني الجمال في نفوسهم ، وتنبيههم الى كل ما يعود عليهم بالكرامة والاستمتاع بالكرامة ، وتوجيههم نحو « الروح » واكوانها النيرة المشرقة المتعالية عن الاوحال والصغائر ، ثم انها تساعدهم على النقد ، نقد انفسهم ، ونقد الناس من حولهم ، وتوضح لهم الاحاسيس التي يشعرون بها ، ولا يحسنون التعبير عنها في اغلب الاحيان .

هذي هي فوائد العداوة التي تنشأ بين المجتمع والشاعر ، اما فوائد الشعر نفسه فانها لا تزال غامضة في اذهان الكثرة الساحقة من البشر ، ولو اتضحت للناس ، وتبينوا قيمتها وحقيقتها ، لعدلوا عن محاربة الشاعر الى نصرته ، ولمشوا في السبل التي ينيرها امامهم ولبلغوا من سمو الذوق ودقة الحس ما يجعل الحياة غير الحياة ، والعالم غير العالم .

الشعر هو الاداة الوحيدة الناجعة لتوحيد النفوس وتقريب القلوب ، فان الدعوة الى الاتحاد التي تنطلق عادة من افواه الساسة والقادة والزعماء ، وتبح حناجر الخطباء واصوات البلغاء ، لا تؤتي ثمرة ولا تجدي نفعاً ، لان الاتحاد لا يتم بمجرد الدعوة اليه ، ولا يتحقق في الامة بمجرد الرغبة فيه ، وانما يتكون ويصح حين يلتقي الناس على صعيد واحد من الفكر والشعور ، ويشملهم جو واحد من الفكر والشعور ، والشاعر هو المخلوق الوحيد الذي يبني ذلك الصعيد الرحب الموحّد ، ويخلق ذلك الجو الشامل المحبوب . هكذا نجد ان الانكليز — مثلاً — ينقسمون الى عمال ومحافظين واحرار ، ولكنهم يتفقون في حب شكسبير وملتن وبيرون وشللي ، وما هذا بالشيء القليل ، لان ذلك الاتفاق ينطوي على وحدة في الشعور والخيال والحب . وهكذا ايضاً يختلف الهنود في كل شيء ، وينقسمون الى فئات وطبقات متناحرة متنابذة ثم يتحدون في « طاغور » وشعر طاغور ورسالته المثالية العالية ، ثم نجد قيمة شاعرية طاغور حين نرى ان الشرق والغرب على ما بينهما من نزاعات وحروب يتفقان على ما جاء به ذلك الشاعر العظيم من ادب وفن وقيم .

والشعر ذو رسالة تعليمية ، يؤديها بصورة عفوية ، فكل من قرأ الشعر وتمرس بمعانيه ، واوغل في دقائقه واستنار بأضوائه ، يتوصل الى معرفة نفسه ، وبالتالي الى معرفة الناس ، ويصبح من نفسه في سعة ، ومن حياته في نهار مشمس مضيء ، لا يعثر فيه بظلمة ولا يضطرب لديه في منحدر .

والشعر اخيراً يفيد في بعث الجمال الذي يصوره ، وتغذية الحب الذي ينشده ، فما لنا الا ان نصغي للشاعر وان نحب الشعر لنتوحد ونتربى ونسمو في معارج المدنية الروحية .

وهكذا . . . يكون الشعر وسيلة فعالة لبلوغ أهداف الأونسكو وخدمتها .

عبد اللطيف شرارة



ألقيت في زحلة بمناسبة اجتماع اللجنة الثقافية العربية بلبنان

●

انت، ما انت؟ فتون سرمدي ... نجتدي من وحيه ما نجتدي
ونناجيك وفي الحاننا ! ... ينتهي شوق، وشوق يبتدي
ولنا في كل ناد سمرٌ ... عكفٌ حول أمان شُردِ
رددت ما ذاع منا، وانثنت ... في روابيك نشاوى سؤدد
فاتلق يا معبد النجوى بنا ... انما نحن شموع المعبد !!
كم كحلنا مقلة المجد بما ... صغت في فجر السنا من مرود
يوم طوقت الهدايا بيد ... وتلقيت جناها بيد
قدمٌ تجرح احشاء الثرى ... وفم يلثم خد الفرقد !!
وعلى جنبيك فتيان، مشى ... خلفهم ركبُ الزمان الامرد
غمسوا المجذاف في اليم ففي ... كل افق مئزر من زبد
وأتوا أقصى مدى الفتح من الارض، يحدوهم نبيل المقصد
حملوا الحرف الذي انشقت على ... لحنه البكر، شفاه الابد
فتلافت، فلم تلمح سوى ... امة تهدي .. ودنيا تهتدي !!

***

ايها الشامخ، لا تطبق على ... روعة الذكرى جفون الكمد
فيدُ الايام لم تجرحك في ... كبرياء الالم المطرد
أوَ لم تنثر على صخر الفدى ... كل درع اجنبي الزرد
واذا البغي على الحق اعتدى ... فمن العدوان ان لا تعتدي !
وتجليتَ حنيناً ثائراً ... في فؤاد المشرق المتقد
طف باعلامك تبصر عربة ... تحتها خير كرام نُجد
فليقم امسُك في عليائه ... ولتطالعنا بعلياء الغد !

عمر ابو ريشة

قصة

مهداة الى الاستاذ نجيب محفوظ مؤلف زقاق المدق

مصرع عباس الحلو

هذه القصة تتفق مع وجود اليونسكو ببيروت . ان كلاً منها يكشف عن مدى الوحدة التي تربط بين العالم فقصة مصرع عباس الحلو تعبر عن ذلك تعبيراً فنياً وهيئة اليونسكو تعبر عن ذلك تعبيراً علمياً .

بقلم يوسف الشاروني

☆

حضرات القضاة ، حضرات المستشارين :

لقد قرر المحقق الذي صرّح بدفن جثة عباس الحلو انه مات نتيجة للكمات والركلات والزجاجات التي تطايرت عليه من الجنود الانجليز بحانة النصر . ولم يكن في مقدور المحقق ان يوجه التهمة الى احد، اولاً لكثرة الذين اشتركوا بضرب عباس الحلو وازدحام الحانة بهم ساعة وقوع الحدث ، وثانياً لانه ما كان لاحد ان ينال من جنود الحليفة وهم في نشوة انتصارهم بهذه الحرب العالمية الثانية . وربما لو اتيحت للمحقق الفرصة كما تتاح له في القضايا الاخرى لما استطاع ان يتعرف على متهم بالذات . وهكذا « ضاع الفتى هدراً » كما صرح بذلك صديقه حسين كرشه ابن المعلم كرشه صاحب المقهى الواقع على رأس زقاق المدق .

ورغم عدم اختصاصي في القانون، الا انني رأيت ان اقحم نفسي واقوم بتحقيق في هذه القضية لحسابي الخاص، فقد اولعت حديثاً بمثل هذه القضايا ، وربما كان عدم اختصاصي القانوني يبيح لي حرية التفكير والاتهام مما لا يتاح للمحقق المحترف .

لقد جاء في تقرير المحقق ان عباساً الحلو لم يقتل مع التعمد او سبق الاصدار، وان الطبيب الشرعي قد فحص الجثة فلم يتعرف الا على شج في الرأس وجرح كبير في العنق نتجا عن استعمال زجاجات متكسرة ، ثم كدم في الجنب الايسر وآخر في اسفل العمود الفقري ، وقرر ان سبب الوفاة كثرة ما نزف منه من دماء، وقد حدثت اثر هبوط شديد في القلب ، اما القاتل فقد نعته التقرير بكلمة « مجهول » .

لهذا رأينا ان نهمل ذلك التقرير الرسمي ونبحث عن آثار اخرى عسى ان نستدل منها على السبب الذي ادى الى مصرعه . ونحن نعلم ان مهمتنا شاقة، واننا قد نتهم ابرياء وقد نغفل آخرين . ومع ذلك فقد آثرنا المخاطرة لما بين ايدينا من ادلة قد يتهمنا الكثيرون بأننا أسأنا استعمالها وبالغنا في تأويلها ، الا انها على اية حال تلقي ضوءاً على المأساة خيراً مما يلقيه مثل هذا التقرير .

ولا شك في انكم ستعلمون مقدار الصعوبة التي واجهتنا ، حين تدركون ان عدد المتهمين قد كان من الكثرة بحيث امتد فشمل — على سبيل الاحتياط — العصر بأسره . فلقد وجدنا ان خير وسيلة نضمن بها عثورنا بالمتهم او المتهمين هي ان نوجه الاتهام الى العصر كله ، وهذا ليس من اختراعنا ولا هو شطط منا، فأنتم تعلمون انه عندما تقع جريمة — في حفلة مثلاً — فأول ما يفعله رجل البوليس هو ان يوجه التهمة الى الجميع وليس الى احد . وبهذا المعنى شمل اتهامنا هؤلاء الجنود الذين اصابوه بالزجاجات اصابات مباشرة وقاتلة في رأسه وعنقه حتى هؤلاء الرجال الذين اشتركوا في صنع هذه الزجاجات وهؤلاء السيدات اللواتي ولدن اولئك الجنود ، وشمل اتهامنا هؤلاء الاقربين الذين كانوا يعرفونه ويرافقونه حتى هؤلاء الزعماء العالميين الذين قادوا الحرب ووضعوا الجنود في الحانة ليلة الحادث .

انه يبدو ايها السادة ان مصرع عباس الحلو ، وهو شاب في الثالثة والعشرين وكان يعمل حلاقاً في زقاق المدق بمدينة القاهرة ، ان هو الا جريمة قد اقترفها عصر .

وانتم تضحكون بلا شك من جدوى هذا الاتهام ، فهو يتناول لفظاً مجرداً ، ولا يتعلق بأفراد معينين نستطيع ان نبصرهم ونلمسهم ونكرههم وتقتص منهم « العدالة » التي تحرصون عليها دائماً . ولكنكم تدركون كذلك ان كثيرين غير عباس الحلو قد ماتوا ايضاً بسبب العصر ، قتلتهم روح الحروب التي ازدحم بها العصر، بعضهم غرق في البحر واكلتهم الاسماك، وبعضهم صعقتهم الغارات ودفنتهم تحت الانقاض ، وبعضهم قتل وجهاً لوجه امام اخيه الانسان، بعضهم جن وبعضهم تشوه، وبعضهم ترمل او تشكل او تيتم، وبعضهم مات مثل عباس الحلو بسبب حادث غرامي في حانة من حانات اللهو وفي بلد لم يذق من اهوال الحرب

ما ذاقته بلاد اخرى ، وفي كل حالة من هذه الحالات كان القتلة مجهولين ، وكانت العدالة التي تحرصون عليها ايها السادة تقف دائماً «معصوبة العينين». ومع ذلك فستمشي طبقاً لتقاليدكم ونوجه الاتهام اولا الى اشخاص معينين، ولكنكم ستدركون معنا في النهاية – وبسبب توزع المسؤولية على الكثيرين جداً – انه اتهام قليل الجدوى .

ولما كان يتضح في معظم القصص البوليسية ان المتهم هو الذي كان ابعد الناس عن الشبهات اول الامر ، كأن يكون صديقاً او حبيباً ، فاننا استفدنا من هذه الخبرة السابقة ووجهنا الاتهام مباشرة الى صديقه حسين كرشه والى حميدة الفتاة التي احبها .

ولقد صدقت فراستنا ووفرت علينا كثيراً من المشاق التي كنا معرضين لها . فقد ثبت لدينا انه ما كان لعباس الحلو أن يغادر صالونه بالزقاق يوماً لولا وجود هذين الشخصين في حياته . كان يود لو ظل في زقاقه هادئاً قانعاً بهذه الغيبوبة الدائمة التي يحيا فيها زقاقه، فهو زقاق صغير معتم مقفل ، ومنزو في حي من احياء المدينة العظيمة الصاخبة ، تنبعث في ارجائه رائحة خدرة مهلكة ، ويرى دائماً على رأسه (عم كامل) بائع البسبوسة بذبذبته القصيرة وجسده المترهل السمين ، لا يفيق الا لحظات في الصباح عندما يقبل تلاميذ المدرسة الاولية يدسون في كفه البضة الملاليم ثم يعود الى اغفاءته المستديمة ، وامامه المعلم كرشه صاحب المقهى يتناول « فصاً » كل بضع ساعات لينقل له ذهوله الحالم المستديم .

لقد كانت حياة الحلو بطيئة متكررة ، لا يمل اتصالها الرتيب ولا يتطلع الى تعديلها او تحويرها . كان عالمه لا ينفسح خلف الزقاق ، ولا رجاء لديه الا في حياة هادئة في حدود دخله المتواضع وفي ظلال حميدة وظلال عيونها وانفاسها . وكان راضياً قانعاً ، متحملاً لو تقسو الايام عليه يوماً، منشرحاً لو منحته لحظة من هناءتها، لا يعشق الا رائحة الزقاق وترابه ، ويقلقه ان يجد نفسه في شوارع ما تنفك تتسع وما تنفك تصطخب وما تنفك تضيء . ومع ذلك فقد كان يبدو ان هناك جانباً من حياته يتمرد في خفاء على هذه الدعة وهذه الطمأنينة اللتين لا يطمح الحلو الى سواهما ، جانباً مجنوناً يرجوه ويخشاه ؛ تعبر عنه صداقته لحسين كرشه وتمسكه بهذه الصداقة . كان هذا الصديق يقلقه حيناً ما ويشيع في نفسه لوناً من الريبة في قيمة حياته هذه التي يحياها وفي المعنى الحقيقي لقيمه التي يتمسك بها والتي تستمد دعائمها من رائحة الزقاق وعتمته ، كان كلما وقعت عيناه على حسين احس انه ازاء جزء من هذه الطرق الفسيحة المزدحمة حيث قيمه تنهار وطمأنينته تنهار وشخصيته تضؤل وتضؤل وسط الزحمة المصطخبة . كان صديقه يفتح له عينيه على عالم آخر مزدحم بالمطامع والمطامح وصاخب بالتشاجر والتنافس في سبيل الظفر بالقوة والمال .

وفي هذه الزحمة الوهاجة المضيئة فقد فتاته حميدة . ظل صديقه يلح عليه كي يرحل ، ان يترك هذه الغيبوبة الحالمة وينطلق ليشارك في السباق المرهق العام ، وظل يزعق فيه سافر سافر سافر « ماذا اكلت ، ماذا شربت ، ماذا لبست ، ماذا رأيت » . . وما كان لزعقاته ان تقلقه الا قليلاً ثم سرعان ما تخبو ، لولا حميدة التي هناك، وكان هو يحبها ، وكان في حبه لها . شيء غريب عن طبيعته ، كان صوتها الاجش ما ينفك يعلو بين حين وآخر فيخرج بالزقاق عن طبيعته ، وكانت ما تنفك تتشاجر مع الرجال ومع النساء ومع امها فتزلزل الزقاق و« تصحيه » من سباته المستديم بضع لحظات ، وكان الحلو يحبها ، ويرجو ان تشاركه حياته ، ولكنه ما كان يدرك فداحة الثمن الذي وجب عليه ان يدفعه ، حقاً لقد ادرك انه سيدفع ضريبة من حياته المطمئنة الوادعة فيتغرب قليلاً ، ولكن لكي يعود ويستأنف حياة الدعة والهدوء . كانت هناك صداقة غريبة لكنها طاغية ، وكان هناك حب قوي لكنه طموح ، فرضي ان يحمل نفسه ما يكره ، وان يغترب عن طبيعته قليلاً . لكنه ما ان سافر حتى وجدت حميدة ان مشاريعه تضمحل، واصبح حب الحلو لها فكرة لا حقيقة لها ، مجرد امل باهت لا تستطيع هي ان تقبض عليه وتعتصره بين يديها ، واصبح طموحها معلقاً بمصير ذي غياهب مجهولة ، مما اعطاها القدرة على ان تغادر الزقاق ملبية اول نداء رأت انه يحقق لها طموحها في سرعة وقوة ووضوح .

وهكذا شارك حسين وشاركت حميدة في حياكة هذه المؤامرة التي انتهت بصرع عباس الحلو ، الواحد بصداقته الطموح والاخرى بما أثارته فيه من حب خلاق .

وقبل ذلك ، ومنذ ست سنوات ، كان هتلر قد اعلن الحرب على انجلترا ثم على الروسيا ، وبذلك كان مصير الملايين من البشر قد تقرر فيما تسمونه « القدر » . كان قد تقرر ان يموت هذا غريقاً وذاك مشلولاً وان تثكل هذه وتترمل تلك ، وان تصبح حميدة عاهرة ويموت خطيبها عباس الحلو ، مقتولاً وهو لما يزل في الثالثة والعشرين . فصراع العصر لم يعد يقتصر على هؤلاء الذين يريدونه ويعلنونه ويشاركون فيه ، بل هو يمتد الى الآخرين الذين لا يدلون برأي في المعركة ، ويحاولون عبثاً ان يتجنبوا لفح الصراع ، وهكذا يشارك كل بما يملك او يستطيع ، فشاركت حميدة بجسدها

وشارك عباس الحلو بمصيره .

والواقع ان عباساً الحلو كان يدرك هذا المعنى من قبل ادراكاً واضحاً – رغم انه لم يفلسفه – كلما انطلقت صفـارات الانذار وسمع ازيز الطائرات وقصف المدافع فوق رأسه . كان يحس ان الحدث العام قد وصل الآن الى مخدعه، وقطع عليه هدأته وراحته، وعطل له آماله وهواجسه كي يشارك هو والآخرون بعضهم بعضاً في ترقبهم وانتظارهم وخوفهم وانصاتهم . وهكذا ادرك ان الحدث العام جزء جوهري من حياته الخاصة وان الجميع يشاركون في هذا النذير المنتشر فوق رؤوسهم وقد مد اطرافه الممسوخة الجزعة الى قلوبهم وخواطرهم . وكان حيناً ما يخشى ان يضطر الى المشاركة في هذا الصراع بذراع له او ساق ، لكنه ما كان يحسب ابداً انه سيشارك فيه بحبه وسعادته اولاً ، ثم بمصيره كله في النهاية ، بعد ان تكون الحرب قد انتهت فصمتت المدافع في الميادين واطمأنت القلوب في الاوطان .

وهنا نستطيع ان نضيف الى قائمة الاتهام شخصاً لم يشارك في المأساة بصداقته او حبه او قيادته صراعاً عالمياً ، بل مجرد سعيه الى مصلحته الخاصة ، وبما يفرضه عليه عمله . لم يعرف الحلو يوماً ولم يعرفه الحلو الا شبحاً مقيتاً نغض عليه حياته وعقدها واشاع الفوضى فيما استقر عليه من رأي ، ولم يحدث ان تقابلا ابداً ومع ذلك فقد كان لفرج ابرهيم اهميته الكبرى في المؤامرة ، وكان عمله ان يهيء الفتيات امثال حميدة لمصاحبة جنود الحلفاء . فما ان سافر الحلو الى التل الكبير ليعمل في جيوش الحليفة – كي يعود ويفتح صالوناً بالموسكي تحقيقاً لاطماع حميدة وتسليماً لصرخات صديقه – حتى تغير كل شيء .

في هذه الاثناء كان هناك جنديان انجليزيان يعودان من ميدان القتال . . ومنذ ست سنوات اقبلا عـلى باخرة الى مصر . وكانا يدركان انهما سيحاربان في الميدان ويقتلان وقد يُقتلان ، وادعى احدهما وهو مخمور امام اصدقائه ذات مرة – ومنذ زمن بعيد – انه قد جاء في مهمة سرية بالشرق الاوسط ، فضحك السامعون اذ ذاك وضجوا ، ولكن لم يجل بخاطر احدهمـا انه سيشارك يوماً في مصرع الحلو بحانة من حانات القاهرة . وكانا الآن عـائدين الى القاهرة . من ميدان القتال وقد قتلا عدداً من الالمان والطليان وظنا انه بقي عليهما الانتظار حتى يعودا الى وطنهما ، ولكن ثمة مهمة واحدة اخرى بسيطة كان عليهما ان يؤدياها بالشرق الاوسط في يوم قريب ثم يرحلا عنه في اليوم التالي الى الابد .

أما فرج ابرهيم فقد كان بالنسبة لحميدة في اول الامر مجـرد « عينين » ، عينين متفرستين وسط زحمة من الناس في حفل انتخابي اقيم امام الزقاق . كان مجرد عينين تدعوان حميدة وتثيران ما تهيأ في جسدها من رغبة وطموح وميل الى المغامرة والانطلاق . ولقد لبت حميدة ذاك النداء . وفي الضوء الوهـاج الذي بهر به فرج ابرهيم عينيها بدا لها الحلو قزماً ضئيلاً ، والحياة معه سخرية كبيرة ، وبدا لها فرج شخصاً بيديه مفاتيح عالم متسع كبير يحقق لها مـا تبغيه من تميز وتفرد على بقية صديقاتها اللواتي لا يحلمن جميعهن الا بمصير واحد متكرر ، حيث يلف النسيان والعدم ظلالهما عليهن وهن يخدمن ازواجهن ويرضعن اطفالهن ويسمعن بقية العمر شتائم اولئك وهؤلاء . كان الرجل يسعى في سبيل عملـه ، وكان الحلو مجرد اعتراض صغير مجهول في هذا السبيل ، شدما سهلت ازالته بلا تهيب ولا تردد . وهكذا اختفت حميدة من الزقاق . وكانت تحسب ان فرج ابرهيم يهيم بها ، وكانت هذه هي وسيلته في اجتذاب هـذا اللون من النساء ، فلما ادركت الحقيقة ، لم تكره حياتها الجديدة ولكنها كرهت هذه الخدعة فأضمرت في قلبها السوء والانتقام .

وفي باريس ، ومنذ عشر سنوات ، كان ثمت عمـال يصنعون الزجاجات الفارغة ، وفي ليون – ومنذ تسع سنوات – كان ثمت آخرون يملأون بالنبيذ المعتق هذه الزجاجات . ورحلت الزجاجات وصدر بعضها الى الغرب وصدر بعضها الى الشرق ، وتدحرجت بضع زجاجات من يد تاجر الى يد آخر وعددها يقل ويقل ، حتى استقر بعضها في شارع من شوارع القاهرة . وقبيل مصرع الحلو بيومين كانت احدى هذه الزجاجات قد استقرت فوق رف من رفوف حانة النصر وفي متناول احد الجنود .

ولقد عاد الحلو من التل الكبير فوجد كل شيء معداً لمصرعه .
ولقد عثرنا على محاولات قامت لاحباط هذه المؤامرة واهمها تلك المحاولة التي قامت في اللحظة الاخيرة ، لكنها كانت محاولات فردية لم يكن لها تأثير كبير على مجرى الاحداث . ففي زقاق المدق ، وفي ليلة الحادث ، كان السيد رضوان الحسيني ينوي ان يقوم بالحج ، وسمعه الحلو وهو ينصح الحاضرين قبل سفره بالشجاعة والصبر والا يضعفوا امام اليأس والغضب ، لكن هذا الصوت الهادىء قد ضاع وسط الضجيج الهائل الذي كانت نفس الحلو تصطخب خلاله في تلك الليلة . حقاً لقد تردد قليلاً ، لكنه ما كان يمكنه ان يعود الى طبيعته الاولى .

ولقد عثرنا مع القتيل ليلة الحادث على علبة بها عقد ذهبي مركب

من سلسلة وقلب رقيق ، ودلت تحرياتنا على ان الحلو قد بلور في هذا العقد عواطفه وجسد آماله وارتبط به ارتباطاً اكثر واقعية في حركته نحو حميدة . وعلمنا ايضاً انه حين قابلها فيا بعد ووجدها تزين رأسها بهلال الماسي وتزين اذنيها بقرط لؤلؤي احس بالحقارة والاحتقار وهو يتأمل امامها عقده في ذهول حتى لكأنما بريقه الذهبي كان ينعكس على وجهه فيشيع فيه قلقاً صاخباً عربيداً . وبهذا كان وجود الهلال والقرط عليها ووجود العقد الذهبي في جيبه حتى ليلة مصرعه عاملاً قوياً قداستطاع ان يغذي فيه بحق قوى الكراهية والغضب . واستطعنا بتحرياتنا ان نتعرف على الصائغ الذي قام للحلو بصنع ذلك العقد ، وهو غير الصائغ الذي باع لحميدة الهلال والقرط ولو انهما يسكنان في حي واحد وكان كل منهما يكاد يواجه دكان الآخر

كان قد لقي حميدة واشعلت فيه نار النقمة من الرجل الذي سلبه سعادته ، وتواعدت معه — وهو ينقل البصر بين عقده الذهبي وهلالها الماسي وقرطها اللؤلؤي — على ان يلقاه يوم الاحد ليقتص منه . ومع ذلك فان الحدث لم يقع يوم الاحد ابداً ، فقد كان لقاء الاحد مدبراً ويعرفه انسانان هما حميدة والحلو ، اما مصرعه فقد ذهب الجميع ليشاركوا فيه بغير ان يدبره او يعلم به احد . وهكذا تمت الامور بأسرع مما دبرها الفتى والفتاة . فعندما هبط الليل الذي شهد هذا الحدث الكئيب ، وقبل يوم الاحد بايام ، كان الحلو يسير مع صديقه حسين ليعرفه بطريق الحانة التي سيلتقي بها غريمه في الميعاد المضروب ، ولكن كل شخص كان قد اعد الآن دوره . صديق ملحاح ، وفتاة منحته املاً اهاب به الخروج من طبيعته ثم تركته يتمزق في الطريق اليها ، وثالث يسعى في سبيل عمله للحصول على قوته ، وصائغ صنع عقداً ذهبياً ، وزعماء قادوا الحروب ويستريحون الآن قليلاً ، والمساء والحانة والذين صنعوا الزجاجة والذين عبأوها والذين تاجروا بها عبر البحار والخادم الذي وضعها فوق الرف والجنديان الراحلان غداً ، احدهما يسقيها من كأس في يده ، والآخر يضع ساقيها على حجره ، وآخرون وآخرون حفوا بهم وهم يشربون ويعربدون .

في هذه اللحظة حصل عباس الحلو على قمة تحرره ، وزايله فجأة تهيبه وتردده ، واحس انه يقوم الآن بمغامرة حياته ، وهي مغامرة لا يعرف لاول مرة نتائجها ولا يحسب فيها خطواته . ومن قبل كان قد غادر الزقاق على ان يعود ، اما الآن فقد كان يغادر الزقاق فقط ، لا يهمه ان يعود او يذهب الى الابد . كان يحس ان هناك تحولاً حاسماً ملموساً يحدث الآن في حياته كلها ، فاندفع يضرب حميدة بزجاجة من زجاجات الجعة الفارغة ، ورأى الدم يتزف منها ويغمر وجهها عنه ، وبهت الآخرون لحظة ، لكنهم سرعان ما رفضوا ان يأذنوا له بأن يعترض بحريته الجديدة طرق حياتهم ولهوهم ، حتى صديقه حسين كرشه الذي طالما غذى فيه جانب التمرد والجنون قد وقف الآن ذاهلاً خارج الحانة ، وهو يحس بأن كل نصائحه وكل مغامراته لتضؤل الآن امام هذه اللحظة التي حصل عليها الحلو في حياته ، ولقد حصل عليها في الوقت الذي كان يتلقى فيه الكلمات والركلات ، فتحرر واشاع معه في الحانة حرية لا يحصل عليها السكارى بخمرهم بل هي تحتاج الى صحو شديد ، فأيقظهم ليحررهم معه لحظة ثم دفع الثمن . وسرعان ما كان في خدمة اللحظة حشد من القوانين ، بعضها رياضي يتعلق بحركة الاجسام وثقلها ومقاومتها للضغط ، وبعضها كيميائي مثل التأكسد في الرئتين ، وبعضها فسيولوجي مثل محاولات الدم للتخثر ونقص الكريات البيضاء والحمراء وهبوط القلب ، وبعضها انساني عاطفي . كانت هنالك شهوات ظمأى وكانت هنالك عاطفة جريحة وسفن في البحر وقبلات في المخادع ونظرات عابرة في الطريق واشخاص يحبون واشخاص يتمردون ، وحب ومقت وقوانين وزمن وازمنة . وفي لمح البصر ادى كل مهمته ، وتصادمت العواطف والاهواء كما تتصادم الشهب في سماء ليل حالك فيندلع حريق كبير لحظة ثم يخبو . وانا وانتم ايها القضاة والسامعون موجودون نشارك في حشد من الهزائل والمآسي ، بعلمنا او جهلنا ، بحركة او كلمة او نظرة ، ونحن نسعى في سبيل عواطفنا واعمالنا ، فيطرب شخص ويمرض آخر ويصرع ثالث ، وقفص الاتهام خال لا احد فيه .

كنا جميعاً موجودين ليلة ذلك الحادث ، ونحن نتحرك حركاتنا فيقوم على اكتافنا تاريخ الانسان ، ولم نفعل شيئاً في سبيله ، وحرمناه حقه في التحرر لئلا يجرونا معه او احتمينا بجهلنا وفضائلنا السابقة والمقبلة فتركناه ، ونحن نتنفس معه عصراً واحداً ، ونتناول معاً خبزاً ربما صنع في مخبز واحد او من قمح حقل واحد . كان كل منا يعبد طريقه في الحياة ، تختلف مدى اطماعنا ومدى قدراتنا ، وكان طريق عباس الحلو قد تعرج بين هذه الطرق ، حتى ضاق عليه الخناق ، شيئاً فشيئاً . . فقتلته الكلمات والركلات والزجاجات ، وفحص الطبيب الجثة ، وكتب المحقق التقرير ، وخط امام القاتل بخط واضح ظاهر كلمة « مجهول » .

القاهرة

يوسف الشاروني

التربية الشعبية

بقلم محيي الدين فايد
ليسانسيه في التربية

☆

في لبنان، كما في كل بلد من بلدان العالم، مشاكل تربوية كثيرة منها القديم ومنها الحديث، منها الخاص الذي له صفة محلية ومنها العام الذي له صفة عالمية.

ومن هذا النوع الاخير من المشاكل، مشكلة طالما شغلت اذهان علماء التربية في العصر الحديث الا وهي مشكلة تثقيف الشعب وتعليمه، او بعبارة اصح تربيته تربية صحيحة ليكون منه مواطنون صالحون يساهمون مساهمة خيرة واعية في بناء الوطن.

ولعل الخير، ان تثار هذه المشكلة مرة جديدة، بمناسبة انعقاد الاونيسكو في لبنان خلال هذا الشهر، وذلك لغايتين اثنتين:

اما الغاية الاولى فهي وضع هذه المشكلة تحت انظار المؤتمر ليدخلها في حسابه عند بحثه مشاكلنا التربوية.

و اما الغاية الثانية فهي الاستفادة مما تجمع لدى الاونيسكو من طرق ووسائل في هذا السبيل.

والمقصود من التربية الشعبية، كما لا يخفى، التربية خارج المدارس وهي، كما تبدو، تربية شاقة معقدة ذات وجوه متعددة، ذلك لانها تتعلق بتربية اشخاص منبثين في كل مكان فضلاً عن انهم متفاوتون في صفاتهم الجسمية والعقلية والخلقية وهم، فوق هذا وذاك، يختلفون في ميولهم وامزجتهم.

ولذا كان من الواجب ان توضع لهم المناهج المدروسة درساً وافياً، وان تستخدم في سبيل تحقيقها الوسائل والاسباب الكفيلة بالتأثير فيهم على اختلاف اعمارهم وصفاتهم واماكنهم. فما هو السبيل الى ذلك؟

لا شك في ان كل نوع من انواع التربية يجب ان يهدف الى غاية معينة يعمل لها بجميع وسائله. فما هي الغاية التي تهدف اليها التربية في لبنان؟

اننا نختصر ونقول بان لبنان، وهو البلد العربي المستقل ذو السيادة والمنخرط في جامعة الدول العربية وفي جمعية الامم المتحدة، لا يسعه الا ان يبني التربية في ربوعه على اساس تنشئة جيل لبناني يحافظ على استقلاله ويؤمن بعروبته ويسير مع القافلة الانسانية.

اجل ان لبنان العربي الجديد يأبى الا ان يتدرج متطوراً نحو العلاء ليتبوأ مركزه اللائق به بين مجموعة الامم الحرة، وهو يؤمن دونما ريب بالديمقراطية ويرى فيها خير اسلوب يمكن ان تنعكس فيه روحيته المتحدرة من اعماق الماضي، ولذا وجب ان تكون التربية فيه ذات صبغة عربية انسانية وذات اسلوب ديمقراطي ديناميكي.

اما الوسيلة الى ذلك فيمكن تلخيصها بثلاثة امور: منهج، ومرب، ووسائل إخبار.

ولنبدأ بالمنهج فنقول بانه يجب ان يهدف في كل مادة من مواده الى تحقيق الغاية المرسومة للتربية في البلاد، ومع السعي لترقية كل فرد، وبالتالي المجموع، جسمياً وثقافياً وخلقياً.

كما يجب ان تكون هذه المواد مبنية – بالدرجة الاولى – على ميول الشعب واستعداداته الغريزية المختلفة «لان هذه الميول والاستعدادات الغريزية المختلفة هي – كما يقول مكدوغل في كتابه مدخل الى السيكولوجيا الاجتماعية – من طريق مباشر او غير مباشر المحركات الاولية لكل نشاط بشري، اذ بالقوة النزوعية – او القوة الدافعة – لاحدى الغرائز – او لاحدى العادات المشتقة من الغرائز – تسير كل حلقة من حلقات التفكير نحو غايتها مهما تكن في حد ذاتها باردة مجردة من الانفعال.

بهذه القوة الدافعة تبدأ كل سلسلة للنشاط الجسمي طريقها وتستمر فيه. ولو ان الاستعدادات الغريزية، بما تنطوي عليه من دفعات قوية، استبعدت لاصبح الكائن الحي عاجزاً عن النشاط في اي نوع كان ولعاد خامداً فاقد الحركة، مثله كمثل عدة الساعة العجيبة الصنع اذا ازيل محركها، او كمثل الآلة البخارية اذا اطفئت نارها.».

هذه هي اهم الامور التي ينبغي مراعاتها في المنهج، اما المربي فهو

اهداف الاونسكو والمدرسون

بقلم انطوان غطاس كرم
استاذ في جامعة بيروت الاميركية

●

بديهي

ان الاصلاح لا يبدأ من العدم ، والانيسكو في التوجيه العالمي الشامل الذي يهدف اليه لا يرتكز على مثل مجردة ليشرع في السعي بقدر ارتكازه على اوضاع ايجابية راهنة ينبغي اصلاحها وابلاغها المستوي المنشود . فالمثل غاية والاوضاع واسطة ولا يشرع بالغاية .

ثم ان لجان « الاونسكو » على مختلف مهامها تستند على الحاضر لبناء المستقبل وتستغل الواقعي لتدفعه الى المثالية . فالاونسكو — والحالة هذه — اشبه بجهاز عصبي يتلقى من الخارج — مهما بعد — استعلاماته فيذيبها ويلائم بين ما تنافر منها بعد تجميل المتنافرات ، ويرفع الحواجز التي وضعها التاريخ ورسختها التقاليد والعادات والميول . ثم يعود ويقذف الى امم الارض بهذه المعارف وقد استحالت كلاً منسجم الاجزاء موحد العناصر يقذف بها وقد وضع لها مقاييس ايجابية هي نتائج المزيج الحاصل من مجموعه شعوب متضاربة . ورأى ان يستخدم التربية والعلم والثقافة لخلق شعور منسجم بين الفرد وبيئته الضيقة ، وبين هذه البيئة وسواها من بيئات العالم؛ بحيث ان التربية والعلم والثقافة تتجرد عن كونها غاية بذاتها لتصبح غايتها توحيد العالم عن طريق الفكر ومحاولة وضع الامصار جمعاء على صعيد واحد وزرع السلام في الارض على اسس التفاهم الفكري والتربوي والثقافي .

وغاية الادب ان تنهار الحدود الجغرافية بين الامم لانها حدود وهمية ذللها الراديو والطيران وان تتسع وجهة النظر القائلة ببناء وطن محدود له عقائده وعاداته ومناحي انتاجه الاقليمي ، فتتحول الى وجهة ارحب تشمل الكون بكليته ليستوي العالم باسره وطناً موحداً و كلاً لا يقبل التجزئة تسيره نواميس اجتماعية وتربوية وفكرية متوحدة او متقاربة التوحيد .

ويعنى الاونسكو بتدوين الخصائص الثقافية والمالية وتسجيل الانظمة القضائية التي تتبلور فيها البلدان وتنعكس عليها عسى ان يتولد بين الامصار تفاهم متبادل وان ينشأ في اعماقها احترام المثل والمطامع وتقدير صحيح للمشاكل التي ينبغي حلها ، كما انه يعنى بتطبيق المناهج الحديثة على التربية والعلوم السياسة والفلسفة وعلم النفس سعياً لتعديل العقليات وتكييف النفسيات بحيث يزول منها الميل الى التعدي والانشقاق ، اما المفاهيم الانسانية فينبغي ان

هنا يختلف باختلاق وسيلة الاخبار التي يتصل بواسطتها بالشعب ، فقد يكون مؤلفاً وقد يكون صحافياً وقد يكون خطيباً او مخرجاً على انه من الواجب ان يكون في كل حال مختصاً وعالماً بنفسية الشعب والجمهور .

اما وسائل الاخبار فهي — هنا في التربية الشعبية — ذات اهمية كبرى ، ولذلك رأينا الاونسكو يهتم بها اهتماماً خاصاً ويدرس مسألة تحسينها وتسهيل استخدامها . كما رأينا اللجنة الثقافية التابعة للجامعة العربية ، اثناء اجتماعها في لبنان منذ شهرين ، تخصها باهتمامها وتضع التوصيات للعناية بها وبالمناهج التي تقدم بواسطتها .

وفي رأينا ان التربية الشعبية لن تصبح ناجحة — ليس فقط في لبنان بل في العالم اجمع — ما لم تتيسر لها وسائل الاخبار الشعبي هذه الوسائل التي تشمل الراديو والسينما والصور الثابتة والجرائد والمجلات والكتب الشعبية الى آخر ما هنالك من وسائل قديمة وحديثة .

فمن الواجب اذن ، ان تعمل الحكومات والهيئات التربوية المختلفة على تيسير هذه الامور كلها للشعب بشكل صالح وباسعار رخيصة . وعندئذ فقط يمكن القول بان التربية الشعبية قد فازت بتوطيد دعائمها ، وبلغت ذروة النجاح .

محيي الدين فايد

توجه نحو المفهومية العالمية الشاملة فتبل النفوس من ميلها الى الوطن الصغير والاقليمية الضيقة .

ولما كان تحقيق هذه الاهداف قائماً على تعاون متبادل بين الافراد والحكومات من ناحية وحكومات الامم المتحدة من ناحية اخرى، ولما كان انفصال هذه القوى العاملة وتفكك هذه الامكانيات لا يفضي الى النتائج الايجابية المنشودة، تحتم ان ينشأ تعاون متبادل بين جميع القوى العاملة او التي لها قابلية العمل في الامة الواحدة وثمة في جميع الامم سواء بالسواء .

هذا وان التعاون لا يتم الا عن طريق الثقافة والتربية والعلم. فاحرِ بأن يساهم المدرسون — وهم اهل التوجيه الفكري، وارباب التكوين الروحي — في حل المعضلة، واحرِ ايضاً ان يكون نصيب فعاليتهم واسعاً بحيث لا يقيد بامة او مكان، ودائم الاستمرار بحيث لا يقيد في زمن دون زمن . ونرى ان فعالية المدرسين في تشييد هذا الهرم الاكبر تتم على الوجوه التالية .

١ — التحرر من الاقليمية المحلية — وهو يفترض حقيقتين . اما الاولى فرفع مستوى الثقافة والتربية والعلم بالاطلاع على الانتاج الانساني، بصرف النظر عن البلد الذي انتجه . وبذلك نخرج من حدودنا الضيقة الى حيز ارحب . فنقابل ونقارن ونصلح الشاذ ونسوي اود المعوج على ضوء المقاييس العالمية فنغدو وفي حوزتنا لا انتاج عربي او فينيقي او اغريقي او بيزنطي او روماني، بل انتاج وحسب . فان ما ابتدعته العبقرية ليس لقوم او امة بل للاقوام جميعاً وللامم . فنخرج من طور المفاخرة الى طور الفهم والتحليل وسبر الاغوار .

واما الثانية فالايمان وهو على ضربين ايمان بامكانية ما نصنع وايمان بجمال ما نصنع .

٢ — توجيه النشء بحسب المؤهلات — ان تكوين الناشئة على نحو عالمي لا ينبغي ان يتم دفعة وان ينحصر في فئة واحدة دون سائر الفئات . فالتكوين التوجيهي حدث بطيء يجاري الطبيعة في صنعها . ومنه ما يكمل بعام ومنه ما يستغرق عقوداً ثم انه اذا طرأ فجأة بدل في مجرى التطور الطبيعي واحدث فيه خللاً وثغراً وفجوات، واذا تكوّن ببطء اخذ من الحياة فاخذ العفوية وغدا قسماً من الطبيعة والمزاج . وعليه يمر التوجيه في درجات ثلاث .

ا — مكافحة الامية .

ب — توجيه كل من الفئات بحسب السن والمؤهلات من ٣ — ٧ . ومن ٧ — ١٠ ومن ١٠ — ١٢ ومن ١٢ — ١٤ ومن ١٤ — ١٨ سنة .

ويتلوه التوجيه الجامعي على شتى الاختصاص فيه .

ج — استخدام المناهج الحديثة لتحقيق هذا التوجيه، واشهره فن عرض الكتاب ومراقبة محتوياته وتنظيم هذه المحتويات بما يؤاتي اهداف الامم المتحدة، واستثمار منافع الراديو والمكاتب والمختبرات، والسينما، والمطبعة وفني الرسم والتصوير .

٣ — وسائل بث الدعوة . — والوسائل على ضربين اما مباشرة من مثل تعيين اساتذة اكفاء يقومون ببث الدعوة بعد تمحيص واثارة اسئلة حول الموضوع واقامة مباريات كالتي عنوانها «تربية الناشىء العالمي» او «لنبنِ معاً عالماً جديداً» او «الطلبة والامم المتحدة» او انشاء نواد خصيصاً للغرض نفسه .

واما غير مباشرة فيعمد المدرس — في غضون تدريسه التاريخ، والاجتماع او التعليم المدني او غيرها الى بيان الخصائص التراكمية، المتزايدة، والى اظهار مساهمة الامم في تكوين احدها . فالتاريخ ليس تاريخ شعب واحد بل تاريخ شعوب متمازجة وما عقب تماسها وتحاكها من حوادث .

٤ — فهم نفسية النشء — ولعل هذه المرحلة اهم ما يشرع به مطلقاً، فكيف يسع المدرس ان يوجه قبل ان يقف على جوهر الموجه، حتى اذا سبرنا ميول الناشئة اسقطنا منها النواتىء واستأصلنا ما لا يصلح، وظفرنا بوضع نفسي قد تهيأ لقبول الرسالة التي تبشر بها الامم المتحدة .

٥ — الثورات البطيئة — ولا تقتصر هذه الثورات على التبديل في ميول طلبة المعاهد الابتدائية والثانوية بل تتعداهم الى الجامعات فاصحاب المهن الحرة . فيطرأ على القوانين المدنية تعديل، تعديل بطيء بحيث لا يجرح الروح العام السائد في امة ومثله في الحقول السياسية والتجارية، والاقتصادية، والصناعية، والاجتماعية .

٦ — درس الانسان وعلاقاته مع العالم الحديث .

٧ — الاقتصار على نهج واحد خشاة ان يشل بعض المناهج البعض الآخر . واختيار النهج الامثل للامة الواحدة سيراً على الاعتبار بان لكل امة — في البدء — نهجاً قد لا يؤثر على سواها . فان ما ينجع في قطر قد يترك الاثر السيء فيما عداه، وهكذا .

٨ — الانتاجات على تباين مظاهرها متفقة في الجوهر وهنا نرى ان الفلسفة والاجتماع والفنون والآدب والعلوم الوضعية التجريبية والعلوم الطبيعية ينبغي ان تظل متشاركة متعاونة، غير مستقلة متقاطعة . هذه هي الوثيقة الكبرى التي نبثها في حنايا المعاهد والجامعات، وجل المنى ان نعمل معاً، في اتم ما يضبطه العقل واقدس ما يقدسه الضمير الاوعى، لنسير في تحقيق الوطن الاوسع — العالم .

انطوان غطاس كرم

مع النواسي ... في الحانة

بقلم احمد سويد

فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة | فان طال هذا عنده قصر الدهر
فما الغبن الا ان تراني صاحياً | وما الغنم الا ان يتعتعني السكر

☆

ليس من الغريب ان تأتي قوافي « النواسي » مخمورة ، فهي انما تنطلق من جوف دن ، واحشاء زق ، وليس من الغريب ان تنشق مع انفاسه انفاس ابنة العنقود ، وهو الذي اذا شئت ان تستحضر روحه لما استطعت لها اجتذاباً ولو اوتيت مواهب الروحانيين جميعاً ، ولن تدحو تمنعها الا اذا لوحت لها بكأس وسلطت عليها تعاويذ « شادن » وانك ان تحاول تجسيده في وعيك لا يتقمص لك الا في كأس ولا يلوح لعينيك الا في زاوية خمارة يلتصق الكأس بشفتيه كانه بعض حقيقتها ، يعب ليظمأ ، ويعل ليعطش ، ويغات مع كل نفس غمغمة :

« طوبى للذين يعيشون في غيبوبة حالمة هانئة ، ويبعدون نفوسهم على سراب لم يهتك سره ، طوبى للسكارى الذين تصفعهم الحياة بالآلام فيصفعونها بالسخرية ، وتصدمهم الايام بالواقع فيرمونها بالقهقهة ، طوبى لاولئك الذين يحيون بلا وعيهم ويقيسون الزمن بأعمار لذائذهم .. طوبى لنا . » .

مع كل تصعيدة تنفس ابو نواس سراً من اسرار الخمرة ، ومع كل رشفة كان يحسو معنى من معانيها العذراء المحببة ، ولا يعي وحي الخمرة الا زمرة مصطفاة لها مزاج النواسي .. تعيش في كريات دمها نزعة مستهترة ماجنة وتندس في حقائق تكوينها حقيقة المرح . اما اولئك الذين صبت الحياة في افواههم مرارتها ، وقامت في انوفهم وعيونهم حثالات كؤوسها . اولئك لن يحول لعاب الكرمة في رؤوسهم الا الى بخار يتقطر فيكون هذياناً ، أوليس هذيانهم هذا سوى بغام الشيطان الشاعر الذي انساه سكره نكهة الالم ولكنه لم يستل من مفاصله الرعشة ولم يطرد الاعياء من سيقانه ، فاقعى ليجتر اللذة العابرة كالفترة المنهوكة ، وليحلم . غير ان احلامه اكثر ما تكون مختلطة مبهمة ، وفي اختلاطها وابهامها طمأنينة لنفسه عذبة .

.. وما احوج الشاعر لشيطان مرح فضولي مغامر ينسل الى ملكوت الشعر الخالد فيختلس بعض ثماته ويقوي « حواء الشعر » لا لتأكل الثمرة بل لتهديه اياها .. واما اولئك الذين تمتد ايديهم الى الكأس وقد تجسدت شهوتهم الباردة رغبة في تلوين لذائذهم فلن يأتمنهم الكأس الا على حماقاته ، ولن يلج « شيطانهم » « الملكوت » الا ليرجم او ليطوف هنيهة يذب بعدها عن الحوض لا عن اندفاعه نحوه خاو من حرقة الظامىء .

هكذا تناول الاعشى كأسه كبطن متخم ، اصطدم بمائدة اتخمت بأصناف الطعام فال عليها ، يلعق من كل لون ليتذوقه وهو لا يدري ان التخمة عطلت فيه حاسة التذوق .. وجاء الاخطل من بعده ، وقد جفف الانشاد حلقومه فرطبه « بزجاجات لهن هدير » ولا شك انه استطاب النكهة ، وراوده حلم زاه ، او راود هو نفسه ذلك الحلم الذي تتخذه الشهوة برداً لها ، ولعله اشتهى ان يتزعم دولة « الطاس والكاس » كما تزعم « ابن ابي ربيعة » من قبله دنيا الحب والجمال ، فأهوى بشفتيه على الكأس يمتصه متلذذاً ، وكاد الكأس يفضي الى « ابن النصرانية » بأسراره ، وكاد يصطفيه ليبوأه امارة الحانة ، لولا ان ترصنه أنف ان يتمرغ الاخطل وان يعربد مع تلك الحفنة من حثالة المجتمع ، ولولا ان استهواه « البلاط » حيث ينعم برضى الخليفة واعجابه وتقديره ، وحيث يتسع لطموحه ميدان السياسة .. وهكذا فان طبيعة الاخطل الجادة ، واتزانه ، وتعوده الحياة السياسية التي لا تحتمل الهزل والدعابة .. كل ذلك خلق فيه الاستعداد ليكون « شاعر الامبراطورية الاسلامية » .

ولكم يسر ابا نواس ان يتنحى له الاخطل عن « عرش الخمارة » بعد ان اكتشف ان في هذا السائل العجيب — الخمرة —

طاقة قادرة توفر للشاعرية عناصر فن مستقل يأخذ مكانه بين فنون الشعر المعروفة .

وابو نواس كتلة من حواس في طبيعتها نشوة ، وهو شاعرية في طبيعتها شذوذ لانها لا تنزع الى الانفلات الا لتشذ ، وسيان عندها اركبت الشيطان الى الجحيم بعد ان ينفد زاد المعاد ام ركبها الشيطان ليجر صاحبها الى المقصلة .

وابو نواس فوق ذلك شدق ماؤه ضحكة طويلة لا واعية . او قل قهقهة ، وان استنكر هذا اولئك الذين يريدون ان يرغموا « المسكين » على التأوه، ويحشروه مكرهاً في عداد من حصدت ارجلهم مناجل الشقاء . اذاً فشاعرنا ان يتكلف حب الخمرة، ولن يكون دعياً في هذا الحب، اليست النشوة في عروقه ودمه؟ او ليست سعادته في ان تزداد هذه النشوة عتواً وعراماً؟ وهل كالخمارة ضمانة لهذه السعادة؟؟

وعاج ابو نواس على الخمارة فقدمت له النشوة مكبلة في كأس فتحساها !! ترى هل ينسى الجدول وشوشته والبلبل الحانه ؟ والشاعر أيعقل ان يحطم قيثاره ؟ لا ، لا، لن يكون ذلك الا حين تنسى الطبيعة نفسها وتنقض قوانينها . اذاً ، فليغن ابو نواس! واعجباً له أبحارفيم يتغنى ؟ وهل يتغنى الشاعر الا بنشوته ؟ ؟

وحدق شاعرنا بكأسه وطال تحديقه، ايجتر ما لاكه الشعراء من قبله ؟ أيقول عن الخمرة فقط انها « صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها»

وانها : عبقت اكفهم بها فكأنما   يتنازعون بها سحاب قرنفل ؟

«   مما تخيرها التجار ترى لها   طعماً اذا طعمت، كطعم الفلفل

«   «كانت على عهد نوح في سفينته»

أهذا هو الشعر ؟ هل الشعر علم جاف من رعايا العقل الذي لا يؤمن الا بالمحسوس ولا يعقل الا بالتحسس ؟ اين الاجنحة التي تصطفق اذا ذكر الشعر ؟ واين هذه اللهثات الباردة المثقلة بالغبار من تلك السبحات السامية تتنفس في الاجواء السامية ؟ ان ابا نواس لا تزال تلجم لسانه التقاليد ، وهذا اللسان نفسه استطال بالامس فسخر من اساليب الاقدمين وسفه احلامهم التي أبت الا ان تساير الجمل وتواكب الناقة وتتساحب حقيرة على الرمال المسفوعة . ويح النواسي ان لسانه ما فتىء عبداً فليحرره :

قرارتها كسرى وفي جنباتها   مهى تدريها بالقسي الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

الشعر فن ، والشاعر فنان وهب طاقتين ، احداهما تتفرد بصنعة الابداع والخلق ، وذلك حين تكون العناصر منتزعة من حقيقة الفنان ، واخراهما حاسة قوية مرهفة توجد اللحمة وتبدع الانسجام بين العناصر حين توفرها ، وابو نواس في هذين البيتين لا يلجأ الى قدرته الخلاقة ، بل يعتمد على الحاسة الفنية فيه ، فلقد لمح النقوش في قرارة الكأس وعلى جنباتها فلم يعطلها وانما لاءم بينها وبين الخمرة ببراعة ، او قل خلق بينهما نسباً ان انقطع تحطمت الصورة الفنية التي يود ان يفتح عليها اعيننا ، ولكن ابا نواس يريد ان يكون خلاقاً ، يريد ان يتخيل المحسوس ويتحسس الخيال ويجسده لك ليوهمك انه انما يجسد واقعاً حتى اذا وقعت عيناك على هذا الواقع استحال الى معنى هائم لا ترى منه الا ظله :

ملس وامثالها عفرة   صور فيها القسوس والصلب

يتلون انجيلهم وفوقهم   سماء خمر نجومها الحبب

سرعان ما ترتسم في ذهنك صورة لجماعة من القسس ، تجثم على صدورهم صلبانهم ، وسرعان ما تستلفت نظرك حركة ايديهم اذ ترتفع خاشعة لتدني الاناجيل من ابصارهم . . ولكن اللوحة لم تستكمل خطوطها بعد فانك لا تلمح سوى اطارها وهو عادي كما ترى . حدق في الكأس جيداً واسم ببصرك حيث يسيم القسس ابصارهم . فهنالك تنبسط سماء انكمشت على نفسها ولملمت ارجاءها واجتمعت في كأس ، تتدلى في جبهتها نجوم قلقة، تفات اجفانها مع كل رعشة خيطاً متموجاً متشعباً من الالق يدفع فيتمسك ، وينضى فيتشبث !

فيم انشداهك ؟ أتنكر على الفنان اجتراح المعجزة ؟ أتنكر عليه قدرته في ابداع سماء من خمر ، وكواكب من حبب ؟ اتجحد ان كأسه دنيا كلها سحر ، وعالم كله اعجاز ؟ ان لم يكن ذلك فكيف يستطيع ابو نواس ان يحيل كأس « المغني » الى سراجين يلمثان في حنية محراث . . محراب في لحم ودم :

حثنا مغنينا على شرب كأسه   فتدركه كأس وفي كفه اخرى

فأمسك ما في كفه بشماله   واوى الى الساقي ليسقيه باليمنى

فشبهت كأسيه بكفيه اذ بدا ،   سراجين في محراب قس اذا صلى

ذلك طاسم لم يتمر الاخطل ولم تتدحرج عقده على لسانه لينفثها سحراً . . على ان « فضول» النواسي لا يقف عند هذا الحد . انه يود ان يقيس تلك المرحلة من الزمن التي قطعتها ابنة العنقود قبل ان تجثو بين يديه او يجثو بين يديها ، ولطالما قدر انها :

عتقت حتى لو اتصلت   بلسان ناطق وفم

لاحتبت في القوم ماثلة   ولقصت قصة الامم

ولكنه شك وارتاب وذكر انه قاس ذلك بمقياس الظن ، ومقياس الظن خاطىء . وخطر له ان يسأل تاجرها ، فلعله رباها في حجره، او لعل احدى العجائز « التاريخية » زعمت له ان اجداده الاول خلفوها له في جملة ما خلفوا من ارث ومتاع :

سألت تاجرها : كم ذا لعامرها   فقال : قصر عن هذاك احصائي

نبئت ان ابا جدي تخبرها ... من ذخر آدم او من ذخر حواء

غير ان جواب التاجر لم يكن ليزيده الا شكاً وارتياباً ، فهو ليس براوية حجة ، ومن يدري فقد تكون روايته موضوعة ، وقد تكون وسيلة من وسائل الترغيب ، واسلوباً من تلك الاساليب التي يستخدمها التجار لترويج سلعهم . وانتبه الى ان الشعراء من قبله اشاروا الى قدمها ولكنه تحقق انهم جهلوا يوم ميلادها وقصرت مداركهم عن تحديد عمرها ، وكانوا كلما تعرضوا لحل هذه المشكلة اعرضوا مهزومين وزموا شفاههم وهصرت اسنانهم هذه الكلمة الرثة : « معتقة » ترى هل يزم النواسي شفتيه ويكتفي بالترديد مع الغابرين ، ومع الخمار : «انها معتقة » ؟ لم لا يستنطقها؟ انسي انه اوتي من المقدرة العجيبة الخارقة ما يمكنه من تجسيد اللامحسوس واخراجه عن صمته وعيه ؟

ومال ابو نواس على « ابنة الكرمة » ليحل عقدة لسانها ويستدرجها لتبوح بما تكتم :

فقلت لها : يا خمر كم لك حجة ؟ ... فقالت : سكنت الدن دهراً من الدهر
فقلت لها : كسرى حواك ؟ فعبست ... وقالت : لقد قصرت في قلة الصبر
سمعت بذي القرنين قبل خروجه ... وادركت موسى قبل صاحبه الخضر

اذاً لم يخطىء ظنه حين زعم له انها « لو اتصلت بلسان ناطق مبين لانتصبت في حلقات الشرب تقص على محتسيها قصة الامم ، واساطير الشعوب » . واحب صاحبنا ان يملأ نفسه يقيناً كيلا يدع فيها فرصة للريب فهمس في اذن الكأس معيداً سؤاله الاول :

أبيني لنا يا خمر كم لك حجة ... فقالت : لحاك الله لست بذاكر
شهدت ثموداً حين حل بها البلى ... وادركت اياماً لعمرو بن عامر

لحاك الله .. فيم تحرجني كل هذا الاحراج .. صدقني ان ذاكرتي الخرفة لا تعي اليوم الذي قدر لي فيه ان أنسل من شرايين العناقيد التي ذهبتها الشمس وبلورها الشعاع ليستعبدني خمار حريص اوتي قدرة سليمان النبي ، وليحبسني في هذا الدن كما كان سليمان النبي يحبس في القماقم عصاة الجن والمردة . وكل ما اذكره انني غفوت في جوف الدن — كما غفا اهل الكهف — غفوة لم يحط بأمدها وعي الزمن ولم استفق الا على صواعق العذاب ينزلها الله على قوم ثمود .. اسمعني يا ابا نواس : لم اتجل لعبادي قبل اليوم ولم اكلم احداً منهم قبلك .. ولكم عفروا نواصيهم على اقدامي لاباركهم ، ولكم سجدوا الي لامدهم بوحيي ولانهلهم — ولو نهلة — من كوثر الشعر فكنت اقسو عليهم ، وكنت اسحقهم بتمنعي ، وكنت كلما اسرف « شاعر » في التزلف اسمعه ضرباً من الرطانة تنزلق على لسانه هذيان مخمور معربد فيعده المسكين « نعمة كبرى » .

وكلهم يا ابا نواس كانوا سذجاً .. لم تكن لهم فطنتك ليمزقوا قناعي ، ولم المس فيهم اخلاصك لا تجسد لهم . والآن لي اليك رجاء فاصغ الي قبل ان يلتف حولك الندمان ويصرفوك عني :

لا تمكنني من العربيد يشربني ... ولا اللئيم الذي ان شمني قطبا
ولا السفال الذي لا يستفيق ولا ... غر الشباب ولا من يجهل الادبا
ولا الارذال الا من يوقرني ... من السقاة .. ولكن اسقني العربا .

وصمتت الخمرة ليتكلم النواسي وليدل على ندمانه وكيف لا يملأه الكبر المستحب وقد ظفر بما لم يظفر به احد من قبله :

ما زلت استل روح الدن في لطف ... واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسد ... والدن منطرح جسم بلا روح

ويح النواسي ما اقدره على نزع روح الدن . انه ليستلها بخفة الساحر ، من كيانها البارد ، ويستدرجها الى جوفه حيث يؤاخي بينها وبين روحه ، وحيث تستفيق من خدرها لتملأ وعيه ولتجعل لسانه مطية لابليس .. وكلما هم النواسي ان يفتح سمعه المغلق لصوت الله السجين في ظلمة نفسه لكزه ابليس ووسوس له : يا هذا دعني اعلمك كيف تحتال على الدين الذي يحتال عليك ليلجم نفسك ويفطمها عن الشهوات ، واسمح لي ان اعلمك كيف تجدف على الناس وتتقي فضولهم .. او على الاصح مواعظهم . اتسمهم حين تذكر نفسك :

وضع الزق جانباً ... ومع الزق مصفحا
واحس من ذا ثلاثة ... واتل من ذاك احرفا
خير ذا في شر ذا ... فاذا الله قد عفا

وتعجب النواسي حيلة ابليس وكيف لا تعجبه وقد ضمن اللعين له الخروج « نظيفاً » من سيئاته وحسناته على السواء ، وفي هذا تكافؤ كفتي ميزانه ، ولعل هذا ابعد ما يطمح شاعرنا في هنيهاته التي كان يرجع بها الى الله ، لان لكل مستهتر مهما تمادى في استهتاره ، مثل هذه الرجعات السانحة .. ولكن ابا نواس كان اظرف من الشيطان حين صمم ان يتخذ من تعاليم الخناس هذه ، حجة له رغم هزالها ، فصاغها قهقهة هازلة ترد عنه تلك اللسعات الجادة ينخر بها جلده لسان فقيه ، وصفعة يصفع بها كل من يرميه بالزندقة ، فيغتصب منه بسمة مشفوعة بصمت معناه : قاتلك الله . ما الذ مجونك !!

***

آن لابي نواس ان يستدير الى « عصبته » بعد ان انصرف عنها طويلاً بتفكيره حتى اذا اقترب منه الساقي ليترع له الكأس صاح به :

الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سراً اذا امكن الجهر !

فتضاحك المجان من حوله واهابوا بالغلام : قل له يا غلام انها الخمر ، فان الحس لا يكون كاملاً الا اذا عقلته حواسنا الخمس .

بح له باسم من يهوى ليتذوق معه نشوة السكر، وارفع من صوتك ومده فان ابا نواس آلى الا يخشى احداً منذ نذر رأسه لابنة العنقود!

وارسل ابو نواس ضحكة طويلة رنانة ما كانت لتنقطع لولا ان زحمها الشعر :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند   واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت في حلق شاربها   اجدته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة   في كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ومن يدها   خمرا ، فما لك من سكرين من بد
لي نشوتان وللندمان واحدة   شيء خصصت به من دونهم وحدي

وفتح عينيه حين فتر الوحي فاذا صحبه ركم سجود ، واذا بهم يتمتمون :« بورك الك في نشوتيك » ورنوا . . فـاذا حمرة الورد تشيم في الخمرة – كما قال صاحبهم – وحمرة الخمرة تشيم في الورد، وتبادلوا نظرات فيها فضول البحث ، فاذا ابدم لخمرة في عيونهم ووجناتهم . . . ثم نشر كل منهم مـا كدسه في ذهنه من شعر مروي . . ومن يدري فلعلهم لم يفعلوا ذلك الا عن خبث وريبة وحسد . . وعبثاً ذهبت جهودهم ، فعبـاد الخمرة قبل ابي نواس جهلوا ان نسبها يتصل بالطبيعة ، وانها حفيدتها – ان صح التعبير – لذلك لم يشكوا في انها ورثت عنها بعض ملامحها ، ولذلك ايقنوا ان « صاحبهم » لم يخطىء . ولكنه ابدع حين اعتبر الورد من ذوي رحمها ، وحين دعاهم الى شربها امام الواح فنية من صنع الطبيعة .

وخدعت ابا نواس اذنه فأوهمته انها تتلقف لوم لائم وتأنيب عاذل وما كذبت عليه الا لتراه مقطباً ، ولكنه ابى الا ان يسمعها قهقهة تلوى بعدها واشار الى شبح لا يراه .

دع عنك لومي فـان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الـداء

وجهل ابو نواس ما نطق . . ولعل البيت اعجب ندمـانه فاستعادوه ورددوه وصفقوا له ، ولكنهم مع ذلك لم يفهموه كمـا فهمته الاجيال ، ولم يدركوا انه ينوء بنظريتين احداهما : بسيكولوجية، والاخرى : طبية . وانى لهم – وهم من رعايا العاطفة – ان يعوا منطق العقل ليتحققوا ان في النفس الانسـانية شذوذاً يكون الترهيب في عرفه ترغيباً وانه اذا قيل لامرىء :« احذر اذا ولجت فم الوادي الفلاني ان تلتفت الى الوراء »كان معنى ذلك : « احرص على ان تلتفت »لان التفاته سيكون نتيجة محتومة لحركة لاواعية توجه كيانه ، ولانفعالات نفسية لا يحسها لانها غائرة ، ولا يستطيع ان يصفها الا بأنها حب للاستطلاع .

وانى لشلة ابي نواس مجهر الغيب لتخترق عيونهم اقنعة الاجيال التي يجنها رحم الزمن ، ولترقب عالماً من علماء القرن العشرين يقبع في مختبره ليحقن الارانب المرضى او الجراذين الموبوءة بمصل ربي فيه جراثيم دائها فتشفى؟ انى لهم ان يدركوا ان عقل النواسي الباطن قال قولاً جاداً، فادعته العاطفة وتبنته فتقمصت فيه ليونتها ودعابتها؟

ما لهم ولهذا كله . . ليدعوا مسائل العقل للعقل وليفتحوا آذانهم فالنواسي يتحفهم بأقصوصة ولا شك انها ممتعة لذيذة اذ هل يعقل ان يقول النواسي الا كل ممتع لذيذ؟ وساد السكون وانطلق لسان المحدث :

شجاني وأبلاني تذكر من اهوى   وألبسني ثوباً من الضر والبلوى
يدل عـلى مـا في الضمير من الفتى   تقلب عينيه الى شخص من يهوى
خطبنا الى الدهقان احدى بنـاته   فزوجنا منهن في خدره الكبرى
ومـا زال يغلي مهرهـا ويزيده   الى ان بلغنا منه غـايته القصوى

وجم القوم وهمست عيونهم : انها والله للغة عذرى تلك التي تتحدر على لسانه ، واحساسات كلف مستهام هذه التي تثب من اعماقه لتنطرح على شفتيه ، وصوته ، ما لصوته ينبعث رصيناً هادئاً ليس فيه بحة الكذب ولا رنة القدح ، ولا تعتعة السكير ، ترى هل احدث النواسي أمراً ؟ وهل انف حياة المجون ولبى ان يبقي قلبه موزعاً هنا وهناك فاستجمعه ليجعل منه وعاء لقلب واحد ؟

. . وكادوا يرجمونه بسيل من الاسئلة المحرجة بعد ان رجموه بالنظرات المستنكرة لولا ضحكة عريضة نحاسية تدحرجت في حنجرته فكبتها واختزلها في بسمة :

رحيقاً ابوها الماء والكرم امها   وحاضنها حر الهجير اذا يحمى
يهودية الانساب ، مسلمة القرى   عراقية الاحساب شامية المنشا
مجوسية قد فارقت اهل دينهـا   لبغضتها النار التي عندهم تكوى
رأت عندنا ضوء السراج فراعها   فما سكنت حتى امرنـا به يطفى

فانفجروا ضاحكين : عرفناها يا ابا نواس عرفناها ، نعمت العروس ، وبوركت الخطبة بالله عليك الا حدثتنا مـا جرى بعد ذلك ؟ فانطلق ابو نواس :

وبينا نراهـا في الندامى اسيرة   اذ اندفعت فيهم فصاروا لها اسرى
أميتت بلذات الكؤوس نفوسهم   فأنفسهم احيا واجسادهم موتى

فصاحوا : ذلك وحقك عين الواقع . . نصرفهـا وهي في الكؤوس كيف نشاء ، حتى اذا استقرت في اجوافنا ملكتنـا وصرفتنا كما تهوى ، وعبثت بنا فتقطعت تلك الاسلاك التي تربط عقولنا بالسنتنا ، فـاذا الالسنة مضغ رخوة تتأرجح في الافواه وترتطم بجوانبها فيكون رجع ذلك عربدة ، وصداه شقشقة ، هيه يا ابا نواس اصدقنا ، الم تبلُ من الساقي مثل ما بلوته منها ؟ فمـا وسع النواسي الا ان يحني رأسه معترفاً بانه :

ساق مرير الطرف والدل فاتن   ربيب ملوك كان والدهم كسرى

وانه ليحس بتلك « المرارة » على لسانه وفي قلبه ، ولكم يود

لو ينسى ، وما عسى ان تكون وسيلته لينسى سوى الكأس ؟

أديرا عليّ الكأس تنكشف البلوى   وتلتذ عيني طيب رائحة الدنيا

وانه ليشتهيها ممزوجة بالماء « اي مقتولة » وما ذاك الا لانها :

تزداد عند المزج طيباً كأنها   اشارة من تهوى الى كل ما تهوى

.. واقبلوا على ابي نواس يظهرون له اعجابهم بهذا اللون من الشعر القصصي الذي لم يعرفوه الا في غزل ابن ابي ربيعة . فما اشبه ليلة « ذي دوران » بتلك الليلة التي تلفعوا سوادها وتسللوا فيها الى خمارة القوها والفتهم ، حتى ان كلابها لم تهرهم حين ولجوها . ولكن اضطراب الخمار لم يكن بأقل من اضطراب « نُعم » حين فاجأها « عمر » وما كان ليضطرب لولا انه يخشى شرطة الخليفة وعيونه ، وسرعان ماهش « لزبائنه » حين عرفهم ، وادخلهم الى حيث اكرم وفادتهم واحسن مثواهم .

وهكذا فهم يرون ان التشابه شديد بين هيكل القصة او الاقصوصة عند عمر وعند صاحبهم وليس من فرق بين هذه وتلك سوى ان بطلي الاولى عاشق وفاتنة . . في حين ان بطلي الثانية : مدمن وخمرة .

وكأني بواحد منهم يخاطب النواسي قائلاً . يعجبني في شعر ابن ابي ربيعة الحوار التمثيلي فليت شاعرنا يخص هذا الفن الطريف ببعض هنيهاته الشاعرة فيتلع ابو نواس عنقه ويقول : الشعر التمثيلي ؟ اسمع :

فاستوحشت وبكت في الدن قائلة   يا ام ويحك اخشى النار والهبا
فقلت : لا تحذريه عندنا ابداً قالت : ولا الشمس ؟ قلت : الحر قد ذهبا
قالت : فمن خاطبي هذا ؟ فقلت : انا قالت : فبعلي ؟ قلت : الماء ان عذبا
قالت : لقاحي ؟ فقلت : الثلج ابرده قالت : فبيتي ؟ فما استحسن الخشبا
قلت : القناني والاقداح ولدها فرعون ، قالت : لقد هيجت لي طربا .

وصفقوا له ما شاء لهم اعجابهم وسكرهم وكان الليل قد تصرم الا اقله ، فتحسوا حثالات كؤوسهم ، وهموا بالانصراف ، فاستوقفهم ابو نواس : الى اين ؟ ما حاجتكم الى النوم ؟ في خاطري فكرة جليلة ، إجلسوا ، اجلسوا ، سأضع لكم دستوراً خالداً ! ؟

— دستوراً ؟ — أجل .. اجل .. اتوافقون ؟ .. اذاً سجل يا حماد ما املي عليك :

الشعبة الاولى :   المادة الاولى :

ثلاثة في مجلس طيب   وصاحب الدعوة والضارب
فان تجاوزت الى سادس   اتاك منهم شغب شاغب

المادة الثانية : بما ان :

نفس المدامة اطيب الانفاس   اهلا بمن يحميه عن انجاس
فاذا خلوت بشربها في مجلس   فاكفف لسانك عن عيوب الناس

المادة الثالثة : يحظر في حلقة الشراب التحدث بتوافه الامور مما يخرج عن نطاق « الكأس » لان :

في الكأس مشغلة وفي لذاتها   فاجعل حديثك كله في الكاس .

المادة الرابعة : على النديم ان يكون الطف من النسيم واودع من الحمامة لأن :

« صفو التعاشر في مجانبة الاذى »

المادة الخامسة والاخيرة : بما ان طباع الناس مختلفة ومنازعهم متعددة وحرصاً على مصلحة الندمان ، ودفعاً لما قد يعكر « الكيف » ينبغي « على اللبيب تخير الجلاس » .

الشعبة الثانية : في حقوق الكأس والندمان :

المادة الاولى :

حقوق الكأس والندمان خمس   فاولها التزين بالوقار

المادة الثانية :

وثانيها مسامحة الندامى   وكم حمت السماحة من ذمار

المادة الثالثة :

وثالثها وان كنت ابن خير البر   ية محتداً ، ترك الفخار

المادة الرابعة : يلاحظ احياناً ان بعض اعضاء « مجلس الشراب » يكدر « الصفو العام » فيحدث جاره حين « ينطق العود وقد طال السكوت به » او حين ينبري للغناء « شادن تحير في تفصيله فطن الفكر » لذلك ننبهك ايها الجليس الى أنك :

اذا حدثته فاكس الحديث الذي حدثته ثوب اختصار

المادة الخامسة : « كرم الطبيعة والنجار » يحتم على النديم التقيد بهذا المبدأ :

كلام الليل يغشاه نهاراً   فان الذنب فيه للعقار

اي ان ما يولد من الكأس يدفن في ثمالات قعره .

مواد اضافية : مادة اولى : في حال وقوع خلاف بسيط بين عضوين او اكثر من اعضاء « مجلس الشراب » يصار احالتهما او احالتهم الى محكمة فردية قاضيها « الكأس » ولكي تضمن سلامة الحاكمين تقرر ان يكون حكم الكأس الوحيد : « الهداة والعفو الشامل » عملاً بالمبدأ الديموقراطي :

فان حكمت كاسك فيه فاحكم   له باقالة بعد العثار

مادة ثانية : اقرت هذا الدستور بالاجماع عصبة المجان التي قوامها :

.. عجرد وعباد   والوالبي المجان
وقاسم ومطيع   ريحانة الندمان

والجواري الظريفات : رباب ، وجنان وعنان ، .. لا ، لا تسجل يا حماد اسماء الجواري لان المرأة لا يحق لها ان تشترك في وضع دستور .. سجل :

وانفضت الجلسة ونهض النواسي ونهض الندمان وهم يتثاءبون : ما احوجنا الى النوم والراحة .. لقد اسرفنا .. والاسراف في اللذة ألم .

احمد سويد

من روائع القصة المعاصرة

جوديت ارل او الرغام

بقلم جلال فاروق الشريف



تحت هذا العنوان « الرغام Dusty answer » اصدرت الكاتبة الانكليزية روزمند ليهان « Rosamond Lehman » منذ سنوات قريبة قصتها هذه فاحدثت ضجة في المجتمع الانكليزي خاصة ، تشبه الى حد بعيد تلك التي احدثتها مؤلفات الكاتب الانكليزي الشهير لورانس Lawrence ، حتى قيل إن هذه القصة لو لم تنشر اول ما نشرت في الولايات المتحدة لما تجرأ ناشر انكليزي على اصدارها ، ولقد نقلت من ثم الى غيرها من اللغات ومنها الفرنسية تحت اسم « Poussière » .

ورغم ان هذه القصة لم تحتل مكانها في الادب العالمي ولم تشتهر الشهرة التي نالتها في ادب القصة الانكليزية المعاصرة فانها جديرة بأن ترفع الى مصاف المؤلفات التي تتعالى لتعبر عن اعمق ما في الانسان من عواطف حارة وقلق دائم ونزوع لا يفتر الى عدم الاستقرار او الوقوف عند حد معين بل التجدد المستمر ومعاناة الحياة واستنزاف جميع ما في الوجود الانساني من قوى كامنة اصيلة فيه لا تزول الا بزوال الحياة.

ان فن القصة يجعلنا نحس ونشعر بما لا نراه رغم انه يقدم لنا اشياء تقع تحت الحواس وهو ينقلنا الى اجواء تنبض بالحياة ويجعل من ابطالها اشخاصاً يحلون في نفوسنا فيعيشون معنا حتى لا نستطيع تفريقهم عن الاحياء الذين يتنقلون بيننا . ان « فرتر Werther » سيظل الى الابد رمزاً حياً للشباب القلق الذي ينضح بالانفعالات العميقة والعواطف الخصبة كما ان – مدام بوفاري Mme Bovary ستظل تمثل المرأة القلقة التي تتطلع دائماً الى غير ما هي عليه وترنو الى حياة لن تتحقق ابداً ، وسيظل فاوست يمثل الظمأ الى المعرفة .

ان ابطال « الرغام » شباب تتدفق الدماء الحارة في عروقهم وقصتهم لن تنتهي لانها لم تفقد في اية لحظة اتصالها بالواقع وبالحياة التي تنبض في الانسان .

***

« جوديت ارل » فتاة دون العشرين من عمرها بسنتين ، وحيدة لابوين على جانب كبير من السعة ورخاء العيش ، تقطن في ضواحي لندن ولم تعرف المدرسة الثانوية لان اباها آثر ان ينصرف بنفسه الى تربيتها وتثقيفها الثقافة الواسعة المختلفة حتى تصبح جديرة به هو الأب المنصرف الى الدراسة والمطالعة .

> ... قصة فتاة تمثل الشباب الثائر الظامىء الى الحب الممتلىء بالحنين . قصة الدماء الحارة التي تتدفق في عروق الجيل . قصة الانسان الخالد الذي لا يعرف الاستقرار .

والقصة لا تبدأ بداية طبيعية اي منذ طفولة البطلة وانما منذ بلوغها الثامنة عشرة من عمرها عندما تقف امام نافذة منزلها الريفي ترقب المنزل المجاور وقد اخذ ينفض عنه غبار الموات بعد ان ظل قفراً سنين طويلة ، وبدأت الحياة تشيع فيه بعد انساده الخمول والاهمال زمناً ليس بقصير . عندما فتحت النوافذ المغلقة وتعالت

الأصوات تنبي. بعودة الروح الى البيت العتيق لم تستطع « جوديت » الا ان تعود الى ذكريات الطفولة فان لهذا البيت اثراً عاماً فيها فقد امضت الشطر الاكبر منها تعبث في حدائقه مع صبية قد بلغوا اليوم مبلغ الرجال ولم تعلم ما حل بهم فيما بعد .

انها لتذكر « ماريبلا » الفتاة الهادئة الوادعة ذات العينين اللامعتين الصافيتين والصوت المنخفض الحاد النبرات الذي يدل على نفس مهذبة ويشف عن برود صاحبته . لقد بلغت الآن « ماريبلا » الثانية والعشرين من عمرها واصبحت اماً لطفل صغير وارملة لـ « شارلي » الذي قتل في الحرب بعد زواجه بشهور قليلة .

ان قلب جوديت ليخفق وان الدمع ليترقرق في عينيها عندما تتذكر شارلي الذي يشبه الامراء بجمال طلعته ، كما كانت تتخيله رشيقاً بقوامه الطويل الفارع وشعره الاشقر اللامع . انها تذكر بقلب اثقله الحزن شارلي ذا الانف الابيض المستقيم والفم الذي يشبه افواه الفتيات ، والشفتين المنفردتين الممتلئتين . كانت تحبه وتفكر فيه ليل نهار دون انقطاع . انها لتراه بعين الخيال اذا ما جن الليل وقد رقدا معاً في فراش واحد تقص عليه اجمل القصص وتحدثه ارق الاحاديث واعذبها ، انها لتتخيله وقد احدقت به المخاطر من كل جانب فتهرع اليه لتنقذه ، او ألم به مرض فتسهر الى جانبه الليالي الطويلة تستمع اليه وهو يهذي باسمها ويناديها ، او انها تتخيل نفسها مريضة فيهرع اليها شارلي يحيطها بعطفه ورعايته وحبه وحنانه . كم كان يلذ لها ان تنام وهي صغيرة في هذا البيت المجاور ، يظلها مع شارلي سقف واحد وذلك عندما يرحل ابواها في رحلة ، فتحل ضيفة على هذا البيت المحبب الى قلبها مع اصدقاء طفولتها .

كان البيت ملكاً لجدة ماريبلا ، اما شارلي فكان ابن عمها اليتيم وكذلك جوليان ومارتين ورودي وكانوا جميعاً يقضون العطلة الصيفية في هذا المنزل الريفي ، فتوثقت اواصر الصداقة العميقة بينهم وبين جوديت حتى غدت ذكريات طفولتهم مشتركة فيما بينهم تربطهم بأشد الروابط واعمق الصلات .

كان « جوليان » ذا نفس هادئة وطبيعة ساجية فلا يثير احداً الا بنظراته الحادة النافذة وكلماته الساخرة اللاذعة ، وكان على نزاع متصل في طفولته مع شارلي . اما مارتين فكان شديد التعلق بجوديت يحبها منذ صغره اشد الحب ويميل اليها كل الميل . غير ان « رودي » كان اشدهم غموضاً واستغلاقاً على الفهم ، لا يكاد ينطق بحرف او يقول كلمة ، اشعث الشعر شاحب الوجه ذا عينين رماديتين ضاربتين الى الصفرة . كان يستطيع التأثير عليهم جميعاً غير انه لم يكن ليفعل ذلك ، وكان لا يهتم باحد فلا تعنيه عواطف الآخرين ومشاعرهم وانما كان ممعناً في فرديته وانطوائه على نفسه فلا يجيد شيئاً غير الرسم الكاريكاتوري الذي ولع به وكانت له فيه موهبة نادرة .

ها قد عادت الحياة الى البيت من جديد وعاد ساكنوه اليه ، غير ان جوديت لم تكن لتجرؤ على العودة اليهم وتذكيرهم بأيام الطفولة ولهوها . انها لتخشى ان يكونوا قد نسوا ما مضى فقد مر على ذلك الزمن ، فيتنكر لها غير انها لا تستطيع ان تكتم رغبتها العميقة في رؤيتهم ولو من بعيد ، فتخلع في احدى الليالي المقمرة القليل مما عليها من الثياب وتسبح عارية كما اعتادت ان تفعل حتى تدرك بيتهم المجاور لبيتها ، فهما متلاصقان على شاطيء النهر ، متجاوران لا يفصل بينهما الا سياج من عشب وشجر ، ومن النهر تأخذ جوديت بمراقبة ماريبلا ومارتين وجوليان .

وتشاء الصدف في احد الايام ان تلتقي ماريبلا بجوديت فتدعوها الى زيارتها وهناك يتم التعارف من جديد وتبدأ تلك الصداقة التي انقطعت زمناً غير قصير . عادت جوديت لتنعم بصداقة جوليان الذي تحب فيه هدوءه ووداعته وآراءه الجريئة واتقانه للعزف على البيانو ولتستمع الى سخريته وتشاؤمه ، كما عادت لتتقن الرقص على يدي رودي الغامض الذي لا يهتم بها والذي بدأ سحره يغزوها فأخذت تشعر نحوه بالحب العميق والميل الجارف وخصوصاً عندما يتحدان في الرقص كتلة واحدة فتشعر بجسمه الفتي يفيض بالحرارة على جسدها الملتهب او عندما يسبحان معاً فيغمرهما ماء نهر واحد . عادت لتحلم برودي كما كانت تحلم بشارلي من قبل ، وعادت الرؤى والاحلام تراودها فتتمنى لو كان الامر حقيقة وليس ضرباً من الوهم . كان الى جانبها ينعمان بضروب اللهو البريء غير انها لم تكن تريد هذا ، انها تحبه حباً تملكها وتشعر بالشوق والحنين الطاغي اليه ، وكانت صدمة قاسية لها عندما اخبرها بعزمه على الرحيل الى لندن وباريس ليتقن فن الرسم كما ان موت والدها قد زادها حزناً على حزن .

لم يكن رودي هو الوحيد الذي احبته ، فقد كانت تجد في صحبة جوليان لذة ومتعة فتطرب الى احاديثه ، كما ان طيبة قلب مارتين ونبله كانت تحببه اليها فترى فيه مثال الشاب المخلص الكريم

الذي تهفو اليه كل فتاة .

اضطرت جوديت بعد ان فجعت بفقدابيها ان تلتحق بكامبردج حيث اقامت في الدار المخصصة للطالبات وتوطدت بينها وبين زميلة لها جميلة كل الجمال اسمها «جينفر» Geunifer اواصر صداقة متينة ومحبة بالغة اشدها ، وكانت هذه فتاة طليقة لا تعرف التحفظ في شيء ، قد خالطت مختلف البيئات وتمرست على عشرة الناس في المجتمعات التي كانت تؤمها دائماً ، وكانت زميلاتها يحببنها اشد الحب ويتعلقن بها ويلتففن حولها فجاءت جوديت واستأثرت بها فلا يراهما احد الا معاً ولا يقصدان مكاناً الا معاً حتى اصبحتا ظلين متلازمين لا يفترقان .

كان ظمأ جوديت الى جينيفر لا يرتوي ابداً . فاليوم الذي لا تراها فيه يوم مظلم اسود كما ان اجمل ساعات السعادة كانت عندما تبحث جينيفر عنها ، فلا تكاد تراها وتستقرعينا جينيفر الجميلتين عليها حتى تنتفض جوديت مرتعشة مغتبطة ، وكان اروع من كل هذا وذاك عندما تضمها جينيفر الى صدرها وتحملها وتصعد بها السلم قائلة : انك يا جميلتي اصغر من ان تستطعي الصعود وحدك ، انك تعبة ، دعيني احملك . اما في الربيع فلم تكن السباحة لتروق لهما الا عاريتين ، فقد كانتا تفران من الناس حيث لا رقيب سوى الطبيعة المشرقة والاشجار المورقة والمروج الخضراء . فتمرحان ما شاء لهما المرح وتتأملان في ضوء الشمس جسديهما البضين الناعمين ثم تعودان مطمئنتين مع الغروب الى الدار .

لم تكن جوديت رغم هذه السعادة التي ترفل في اثوابها لتنسى رودي الذي عشقته عشقاً مبرحاً ، ولقد كان مارتين مقيماً ايضاً في كمبردج فكان يكثر من زياراته لها كما كان يقيم فيها ايضاً «توني» صديق رودي الصدوق الذي يلازمه ملازمة الظل والذي لحظت جوديت انه يتلظى بنيران الغيرة خوفاً من ان تستأثر جوديت برودي فينفصل عنه ، وذلك عندما رأى توثق العلاقات بينهما حين كان ضيفاً على رودي في منزله .

كانت جوديت تنفر من توني كما ان توني نفسه كان يشعر بكراهية لجوديت ولا عجب في كل هذا فكل منهما يخشى على صاحبه من الآخر .

كثيراً ما كان مارتين يدعو جوديت لزيارته غير انها لم تكن لتجد في هذه الزيارة ما يغريها فترفض وتعتذر ، وعندما اخبرها ان رودي في كامبردج وانها قد تلتقي به اذا قدمت لزيارته لذلك

عرجت مسرعة . كان لقاء جافاً فان طبيعة رودي المنزوية ومزاجه الغامض قد اسبغا على اللقاء الكثير من الجمود والجفاف ، غير انها عندما ارادت الانصراف وكان الوقت مساء والثلج يهطل بغزارة عرض عليها رودي ان يصطحبها في سيارته الى دار الطالبات ، وهناك دعته الى زيارة غرفتها لينعم بالدفء قليلاً في هذه الليلة الباردة .

سألها رودي لِمَ تسرع الى الثقة بالناس والركون اليهم ، فدهشت من سؤاله وقالت له : عجباً هل في الثقة بك والركون اليك اي خطأ؟ فقال : الا ترين اني اسير في هذا الوجود اعمى فلا ارى ، واصم فلا اسمع . اني افكر في شيء ولا اهتم بأحد ولا اقلق من اجل انسان ومن الافضل لي ان اموت غير اني اشد خمولاً من ان املك القدرة على الانتحار . لست ابغي من كل هذا غير تحذيرك فلست اساوي الجهد الذي يبذل في سبيل انقاذي كما انه ليس لاحد ان يحملني على محمل الجد ابداً فلا اريد ان تضيع لحظة من اجلي ولن يستطيع احد ان يمد لي يد المساعدة . فأجابته : ليس يجديك ان تلصق بنفسك النقائص والوصمات فلن انفر منك ابداً ولن تكون غير ما اعتقده فيك ، فكل ما تقوله عن نفسك ان يغيرني وان كان سيحزنني . عندما اسمع احداً من الناس يقول بانه لا يهتم بأحد ولا تهزه اية مشاعر فان ذلك يدفعني الى الاعتقاد بأني قد استطيع ان اجعله يهتم بشيء ما ويحس بما حوله .

وعندما مد يديه اليها لم تستطع الا ان تمد هي ايضاً يديها ، فتناولهما ، واحست عندما ناولته هاتين اليدين الصغيرتين ان كل كيانها يتمثل فيها وقد اسلمته له ، غير انه سرعان ما اخبرها بعزمه على الانصراف وقال : لقد حذرتك ، فأجابته قائلة : اجل لقد حذرتني وطوقته بذراعيها قبل ان ينصرف واسلمته شفتيها في قبلة حارة وسألته ان تراه ، فأجابها ستريني كلما اردت ذلك .

كانت جوديت وجينيفر قد عزمتا على التمتع معاً بالعطلة الصيفية التي اعقبت السنة الدراسية ، غير ان جينيفر اضطرت الى البقاء في دار الطالبات لتتلافى التقصير الذي اصابها في دراستها ، فسافرت جوديت في رحلة مع بعض الاصدقاء والصديقات لكن الرسائل بينهما لم تنقطع الا فجأة ، وعندما عادت جوديت في مطلع السنة الدراسية الثالثة كان كل شيء بينهما قد تغير . لم تعد جينيفر تلازم جوديت وانما اخذت تزور عنها ، واخذ الفتور يدب الى علاقاتهما بسبب انزواء جينيفر ، ولم تكن جوديت تعلم سبباً لذلك الا عندما اخبرتها احدى الصديقات بأن جينيفر قد وطدت علاقاتها مع

جيرالدين الطالبة الجديدة وانهما اصبحتا لا تريان الا معاً ولقد اثارتا بذلك دهشة الجميع حتى اخذ الكل يتهامسون عن مدى العلاقات التي بينهما .

كان انفصال جينيفر عن جوديت صدمة قاسية لها، انها لتذكر ولن تنسى أبداً تلك الجملة التي قالتها لها جينيفر عندما كانت العلاقات على اشد ما يكون بينهما : لست على يقين في كل حياتي الا من امر واحد هو أني سأظل احبك الى الابد يا جوديت، وعندما كثر اللغط عما بين جيرالدين وجينيفر اضطرتا الى التخلي عن متابعة دراستهما بعد ان قطعت جينيفر على نفسها عهداً بأن تكتب الى جوديت تشرح ما حدث .

في نهاية السنة الثالثة اتمت جوديت دراستها الجامعية وعادت الى منزلها لتستقبلها امها خير استقبال ولتعدها للحياة التي تليق بمثلها من الفتيات المثريات من تجوال ورحلات وانخراط في المجتمعات و« الصالونات » ، غير ان جوديت كان بها ذلك الظمأ الذي لم يرتو الى رودي ، لذلك نراها قد لبت دعوة ماريللا بقلب خافق عندما دعتها الى قضاء نهار في نزهة بين احضان الطبيعة ، وكان حزنها واساها شديدين عندما لم يرافقهما رودي الذي فضل الاعتكاف في المنزل ، واعتذرت جوديت واستبقت الجميع في العودة لتقابل رودي وحيداً في المنزل ، وعندما تقابلا سألها عما اذا كانت قد نسيت الحديث السابق الذي دار في المقابلة السابقة فقالت انها تذكره جيداً ، وبين ضم وعناق انصرفت مسرعة بعد ان تواعدا على اللقاء في منتصف الليل على شاطىء النهر .

وفي تلك الليلة المقمرة الرائعة ، بين الاشجار وقرب النهر هرعت اليه متلهفة ملتهبة لا تطيق الانتظار ، تناجيه بحبها دون تحفظ وتطلق فيض عواطفها غير مبالية ، واخبرها انه سيرحل ولن يعود . فقالت انها ستنتظر ، وطلب منها ان تعود الى المنزل فأبت الا ان تستزيد من اللقاء ، ولم يستطع ان يقول اكثر من ذلك لما بدا من لهفتها وحبها ، وشهد النهر كما شهد القمر وشهدت الاشجار تلك الليلة التي عادت فيها جوديت الى المنزل مع الفجر محاولة الشعور في شبه خدر وغيبوبة . وفي اليوم التالي رحل رودي الى غير عودة مع احدى صديقاته بعد ان تقابل مع جوديت وافهمها انه قد حذرها من قبل وانها لن تراه بعد الآن فليس هنالك اي رابط يصلهما .

لم تمض على تلك الليلة الخالدة في ذاكرة جوديت غير عدة اسابيع حتى قدم مارتين يدعوها الى قضاء عدة ايام في ضيافة امه التي تتوق الى التعرف عليها ، وقبلت جوديت الدعوة لعلها تنسى ما مضى ، وفي احدى الامسيات الرائعة التي قضياها معاً طلب منها مارتين ان تتزوجه بعد ان ذكرها بطفولتهما السابقة وحبه لها هذا الحب الذي نما في قلبه وترعرع ، ولقد اوشكت جوديت ان تقبل طلبه فهي تشعر نحوه بالحب والميل غير انها لم تلبث ان رفضت ذلك وطلبت منه ان يكتفي بما بينهما من ود وعاطفة وغادرته بعد ايام في رحلة مع امها الى باريس .

وكانت جوديت في باريس محط الانظار لما تتمتع به جمال فائق واناقة عظيمة فتقدم اليها البعض يطلبون زواجها فكانت تسخر من كل هذا ، وضاقت ذرعاً بحياة باريس ولم تشعر ببهجتها الا عندما قدم جوليان . كان جوليان مثالاً للرجل الناضج المتحرر من جميع القيم والتقاليد فراقت لها عشرته ولذ لها ان تقضي الايام والليالي في رفقته يمرحان في الحفلات والنزهات ، وفي احد تلك الايام المشرقة التي قضياها في السباحة والاستمتاع بمفاتن الطبيعة حدثته عن فشلها في الحب ويأسها ، فسخر منها وافهمها انها ليست من اللواتي يعتن عانسات بعد فشل في غرام وانه لا يجد معنى لهذا الثبات والاخلاص في الحب لرجل واحد ، فلتبحث عن غيره ، ثم حدثها عن حبه وغرامه هذا الغرام الذي ظل يحمله طويلاً بين جوانحه وعرض عليها ان تكون عشيقته فهو لا يؤمن بالزواج لان الحياة الحقيقية هي تلك التي لا تربطها القيود ولا تغللها الاغلال ، فيشعر الانسان معها انه حر في التحلل منها في اية لحظة . لم تجد جوديت فيما طلبه منها اية اهانة وانما كان العرض مغرياً فنفسها تتوق الى عواطف جديدة وجوليان شخص محبب اليها وهو يلحف في طلبه كما انها بدأت تشعر بالحنين الى من تسبغ عليه حبها ، وقبلت ان تكون عشيقته وعندما ضمها الى صدره وقبلها تذكرت رودي ومارتين وهمس في نفسها هامس : لقد ضمها الثلاثة الى صدورهم وقبلوها .

وجاءهما خبر غرق مارتين فانفصلا قبل ان تبدأ حياتهما المشتركة وعادت جوديت الى الوطن لتجد في انتظارها رسالتين : الاولى من جوليان يخبرها بعزمه على السفر والتجول ونشدان حياة جديدة ، ويرسل اليها خطاباً ورده من ماريللا تخبره فيه بحبها الذي كظمته طويلاً وانها تكره ولدها ابن شارلي وتود لو يتبناه جوليان ، اما الرسالة الثانية فكانت من جينيفر تحدثها عن العلاقات التي قامت بينها وبين جيرالدين وكانت سبباً في انقطاعها عن الدراسة، وتؤكد لها من جديد حبها الذي لا يزال متقداً . وفي رسالتين تبودلتا بين

جوديت وجينيفر اتفقتا على اللقاء في كمبردج لتعاودا ما انقطع من صداقتهما غير ان الموعد المضروب يمر وجوديت بانتظار جينيفر التي لم تحضر . ويمر رودي قرب المقهى الذي جلست فيه ويتابع سيره اما جوديت فتعود الى منزلها وقد شعرت بأنها تحررت من كل عاطفة اسرتها فلم تعد تابعة لاحد وليس لها سوى نفسها فالسعادة هي في هذا الفراغ والانطلاق وعدم الارتباط بشيء ، وماضيها قد اصبح حلقة مغلقة انتهت ومن الخير لها ان تهجره وقد هجرته . انها الآن تدخل الحياة من جديد كما لو كانت قد خلقت خلقاً جديداً تتلهف الى ما سيأتي .

***

هذا هو عرض سريع لحوادث القصة والحوادث لا تهمنا بالدرجة التي تهمنا فيها تلك الفكرة الرائعة القوية التي ارادت ان تبرزها لنا روزمند ليهمان من خلال الحوادث ، وكذلك التحليل النفسي الرائع لروح الشباب . لقد ارتبطت جوديت منذ طفولتها بهؤلاء الذين كانوا حولها حتى اصبحوا جزءاً منها فغدوا بذلك مصدر شقائها وسعادتها . لقد احبت شارلي ثم تحول حبها نحو رودي وشعرت بعاطفة قوية نحو مارتين وحب حقيقي لجنيفر وقبلت في النهاية ان ان تكون خليلة جوليان غير ان هذا الحب كان قلقاً فلم يتوقف لحظة ولم يتبلور في علاقة محدودة وانما كان سلسلة من التغيرات نحو التحرر النهائي الذي وصلت اليه فلم يعد يربطها بأحد قيد فوجدت نفسها وانطلقت تحقق حياتها من جديد ، وعلى هذا النحو ايضاً كان جميع ابطال القصة ، ولعل ماريبلا تكاد تكون من اعمق شخصيات القصة بعد جوديت وكذلك جينفر . لقد تزوجت ماريبلا من شارلي ثم انتهت حياتهما المشتركة بموته بعد شهر فكرهت طفلها منه لانها ثمرة علاقة انتهت وبانتهائها يجب ان تزول جميع آثارها ، كذلك جينيفر ، احبت جوديت ثم ارتبطت بجيرالدين رغم ما في هذه العلاقة من شذوذ ثم تحررت في النهاية من الاثنتين . لقد كان هذا الكتاب او على الاصح هذه القصة محاولة جريئة من كاتبة لم تبلغ الثالثة والعشرين من عمرها وان الفنان كما يقول الناقد الانكليزي « جون موري » يستطيع اذا شاء ان لا يقيم اي وزن لمجموعة القواعد الاخلاقية التي يحيا عليها المجتمع ، شريطة ان يدل على حدس عميق لتلك المبادىء الاخلاقية التي يسعى كل انسان للارتباط بها ولا مفر له من ذلك ، طالما هو انسان وليس حيواناً .

دمشق — جلال فاروق الشريف

العماد

☆

دعني أبكي على قبري ..
دعني يا اخي الصغير املأ حقي اجاجا
والقيه ميعة في دروب الاشباح ..
من يطاردني قل لي
عيناي سروبان أبداً .
ووديان مديتي اخار

***

استوت الجبال
وأوطاني البيضاء تمسح الصخور
وتلملم اشواك الجبال ..
أحكاية هناك
.. ومن الغد
ذرة تلتقف الاشباح ..
هو يتلو عليك يا اخي ما حملت يداي
وما احتوى قلبي ..

***

انا لا اشكو صغراً
انا كبر ملء ..
والمؤذن ذكرى
والرهبان طواف
مشاعل البخور ..
والملائكة اناشيد سابحات .
قدحها اخضرار ،
رفعت نفسي
والعظمة صغرى والاكوان دوي ..

***

انا لا أشكو ألمي يا أخي ..
انا علّمت الالم ما الالم ..
وفي الحق سجود .. :
سلام عليك يا قبري
وفي الحزيع سمار ..
انت لحدي يا قلبي ..!

« ثريا »

وردتان

« ... فاذا باختها في عمر الورد ، تحمل باقة مزدهية ، تومىء الى موعد ... »

☆

سكر الدوحُ بكفٍّ عبقت في الدوح خمره
رقرق النشوة هزّاً سلسل الفرحة نضره
يزدهي الجدول ان هامت على الضفّة مرّه

خطرت صبحاً فشقّت طفلة الريحان كمّا
شفّة عطشى الى ثغرك تستمنح لثما
ظمئت خداً لخدٍّ وهفت شماً وضما



غرق الجدول في طيبين فانساب وغنّى
وارف الصبوة أن يذكر هياماً يتثنى
نافس الاوراق رفّاً سابق البلبل لحنا

جئتني يا أختهـا بالورد يا طيب الورود
زقزق الغافي بصدري مستفيقاً من هجود
قبلة ام موعداً ام انها ذكرى عهود ؟

قرأت نفسي سطور الحب في اوراق عطر
راقص طرفي وقلبي في الشذا كالحلم يسري
انا سكران وهذا الورد في غمرة سكر

اختها يا باقة اخرى لعيني ويـدي
حملت في مقلتيهـا صوراً عن موعـد
ترف الألوان في قلبي واطياف غدي

حمص . علي محمد شلق

الشعر العربي

بين الجاهلية وصدر الاسلام

بقلم نسيم نصر
استاذ الادب العربي في الكلية الوطنية بالشويفات

☆

ان الجامعة التي لم تتهيأ للعربية في الجاهلية موحدة الاجزاء قوية الاواصر، تهيأت لها بظهور الاسلام ولقد اجتمع على تكوين هذه الجامعة ضابطان رئيسيان : الحكم والدين يؤلف بينهما القرآن الكريم المرجع الاكبر يومذاك للسيادتين الروحية والزمنية .

وكان لابد للعربية ، قبل اندماجها في صعيد موحد اسلامي، من المرور في فترة من الزمن نعرّفها بـ « جسر المخضرمين » . وفي تسميتنا هذه اشارة واضحة الى ماهية ادبهم وبنوع خاص شعرهم .

اجل ان الشعراء المخضرمين لم يخلقوا لهم نحواً ادبياً خاصاً [illegible] له ميزاته وخصائصه الكافية لافراده فالمجموع يتطور ويتبدل ولكنه لا ينتسخ فوراً كل الانتساخ لذلك يستبعد ان لم نقل يستحيل ، ان نحس شاعراً فرداً يشتمل على شخصيتين ادبيتين منفصلتين اولاهما جاهلية والثانية اسلامية ، ولكنه يعقل بسهولة ان نلمس الشاعر الجاهلي الوثني في دور انتقالي ، متأثراً بالطابع الاخلاقي الديني خاضعاً للحكومة الرشيدة المهيمنة على بلاد العناد والناشطة الى المساواة ، فلا منافرة ولا تعظم بالدم وفي هذا قال النبي في خطبته يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب » فاستناداً الى ما تقدم نتبسط في الكلام مجدين في استجلاء ما استبطن الشعر المخضرم من اسلوب مستجد وما عرف له من طريقة موروثة .

قد يسمح حماة الوضع اللغوي ويجيز اساتذة الادب وغواته ان نفصل بين كلمتي اسلوب وطريقة فنفهم بالاولى النهج الفني في ابداء المعاني المتناسقة وبالثانية التسلسل الفقري في اجزاء الموضوع .

ولاقامة الدليل نبدأ بكعب بن زهير ، اوثق المخضرمين ارتباطاً بالجاهلية وابن « المدرسة الاوسية »[1] التي ورث طابعها عن ابيه زهير ومضى يحمله موسوماً بالتصوير الحسي ، ولنأخذ هذا الشاعر المخضرم عمراً والجاهلي طابعاً ، في مشوبته في مدح النبي ففيها يفي بالغرض مادة ومنزلة وقيمة شعر ولنعمد الى مقارنتها بمعلّقة ابيه زهير مغفلين امر البحث في الطريقة ، فهي جاهلية لا غبار عليها ، (غزل بحبيب ، ظعن فوصف له فشكوى منه فأمل مضطرب فصورة عن ناقته فتخلص الى ممدوحه الكريم العزيز) معتمدين على الاسلوب، خير معتمد في الدراسة ، فنقول :

ان مشوبة كعب المحسوبة في مقدمة ما يصل بين الشعرين المخضرم والجاهلي لا تخلو، إما سُلّط عليها مجهر الدراسة الصحيحة، من بعض التكريض ، عن الحكمة الزهيرية الجامعة والتصوير الاوسي المتين الجاهليين ، البادي بوضوح فيما يلي :

قال اوس واصفاً سلاحه :

واني امرؤ اعددت للحرب بعدما ... رأيت لها ناباً من الشر أعصلا[2]
اصمّ ردينياً كأن كعوبه ... نوى القسب عرّاصاً مزجاً منصلا[3]
واملس صولياً كنهي قرارة ... احس بقاع نفح ريح فاجفلا[4]
كان قرون الشمس عند ارتفاعها ... وقد صادفت طلعاً من النجم أعزلا
تردد فيه ضوءها وشعاعها ... فأحصن وازين لامرىء ان تسربلا[5]
وابيض هندياً كانّ غراره ... تلألؤ برق في حبيّ تكللا

وهي قصيدة طويلة يصف فيها سيفه ورمحه ودرعه وفرسه وقوسه والعود المأخوذة منه وصوت انطلاق السهم الى غير ذلك تصويراً حسياً متناسقاً من غرر الفن الوصفي .

وكلما ذكر شعر الحكمة ذكرت ابيات ومقاطع لزهير دونها

---

(١) نسبة الى اوس بن حجر . (٢) الاعصل : الاعوج الصلب .
(٣) الرديني : الرمح . وسائر البيت استكمال اوصاف لجودة الرمح .
(٤) نهي : غدير . (٥) تسربل : لبس .

كل شعر تناول الحكمة يوحيها اختبار الرجل المجرب ، ومقاطع معلقته ومن ومن . . . المنتهي بقوله :

لسان الفتى نصفٌ ونصف فؤاده   فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وان سفاه الشيخ لا حلم بعده   وان الفتى بعد السفاهة يحلم

يصلح ان يكون مدرسة حياة كاملة . فباعتبار ابداء المعاني في تناسقها الفني نرى ان كعباً قصر عن استاذيه اوس وزهير ، فما في قصيدته من وصف وحكمة لا يعادل ما في لامية اوس وصفاً او معلقة ابيه حكمة ، وان ابدع واصفاً في قوله :

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا   الا اغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت   كأنه منهل بالراح معلول

واجاد حكيماً في قوله :

فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت   ان الاماني والاحلام تضليل
كل ابن انثى وان طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

لانه لا يتماسك في سياق حتى يهوي عن الارتفاع الى استاذيه ، او يخرج الى التقليد او يلجأ الى اللفظ الثقيل الغريب اعتصاماً منه بالموسوع الضخم من الالفاظ العربية الجاهلية البدوية .

ولولا اجتهادنا في الايجاز لعرضنا كعباً مقصراً عن اللحاق بابيه في جودة الاسلوب في مواطن كثيرة من شعر الوصف .

ولحسن الالمام ببعض ما كان من تحول الشاعر الاسلامي عن اسلوبه في الجاهلية مع بقائه في نطاق الطريقة الواحدة نورد بعض الشواهد من شعر حسان بن ثابت . قال مادحاً ملوك غسان ومخاطباً الحارث :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل   بين الجوابي فالبضيع فحومل(١)
لله درُّ عصابة نادمتهم   يوماً بجلّق في الزمان الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل(٢)
يسقون من ورد البريص عليهم   كأساً تصفّق بالرحيق السلسل(٣)
بيض الوجوه كريمة احسابهم   شم الانوف من الطراز الاول
ولقد شربت الخمر في حانوتها   صهباء صافية كطعم الفلفل
بزجاجة رقصت بما في قعرها   رقص القلوص براكب مستعجل(٤)
ولقد تقلدنا العشيرة امرها   ونسود يوم النائبات ونعتلي
وتزور ابواب الملوك ركابنا   ومتى نحكّم في البرية نعدل

فانظر الى حسان جاهلياً يقف على الطلول ويمدح ويشرب ويفتخر ولا يرى مانعاً من ذكره شربه الخمرة في حانوتها ولا من تعظمه على الناس واستعلائه عليهم ، وهذه الانطلاقة في فسحة شعرية جاهلية تسهل عليه استلاب المعاني وافراغها في قالب جزل خيالي الرواء لا يوازنه ، قيمة شعر ، جيد ما قاله في هجاء ابي سفيان

---

(١) الجوابي والبضيع وحومل : اسماء امكنة . (٢) يغشون : يزارون السواد : الناس . (٣) البريص : علم مكان . تصفق : تغلى . (٤) القلوص : الناقة الفتية .

دفاعاً عن الرسول الكريم :

عدمنا خيلنا ان لم تروها   تثير النقع موعدها كداء(١)
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا   وكان الفتح وانكشف الغطاء(٢)
والا فاصبروا لجلاد يوم   يعز الله فيه من يشاء(٣)
وقال الله قد ارسلت عبداً   يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه   فقلتم : « لا نقوم ولا نشاء »
وقال الله : « قد يسّرت جنداً   هم الانصار عرضتها اللقاء

الى ان يقول :

فمن يهجو رسول الله منكم   ويمدحه وينصره سواء
فان ابي ووالده وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء

فانت ترى ان حساناً ما يزال يصانع في شعره دفاعاً عن النبي بطريقة تتصل اتصالاً وثيقاً بما تقدمه له في مدح الغساسنة ولكن فسحته الشعرية ضاقت فاسف الخيال وافتقر الاسلوب الى بعض الفن الجاهلي .

واسمعه في « مذهبته » جاهلياً مفاخراً بنفسه وقومه اذ يقول بعد ان يصف ناقته :

واني ليدعوني الندى فاجيبه   واضرب بيض العارض المتوقد(٤)
اسودٌ لها الاشبال تحمي عرينها   مداعيس بالخطي في كل مشهد
فنحن لدى الابيات حوراً كواعباً   ونحجر مآقيك الحسان باثمد(٥)

او انصت اليه يقول في رائية مشهورة :

صبرٌ للموت ان حل بنا   صادقو العزم غطاريف فخر
واقسام العز فينا والغنى   فلنا فيه على الناس الكبر

ووازن بينها وبين خير ما قال في الاسلام راداً بالمدينة على الزبرقان التميمي ، لخطيب المناوئين القرشيين ، اذ قال :

ان الذوائب من فهر واخوتهم   قد بينوا سنة للناس تتبع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

تلمس بجلاء التثاقل في السمو الفني في شعر حسان الاسلامي بصورة اجمالية في حين ان الحال معكوسة في شعره الجاهلي ايام كان « يحجر المآقي الحسان بالاثمد » و « ترقص زجاجته بما في قعرها » .

ومهما يكن من امر كعب وحسان ورفاقهما المخضرمين الذين عبر بهم الشعر من الجاهلية الى الاسلام ، فانهم جياد الميدان الشعري الممدود من بدء الهجرة الى تأسيس الدولة الاموية ، لان حقبة زمن حكومة الخلفاء الراشدين كانت قليلة الشعر والشعراء بالنسبة الى ما سبقها من جاهلي وتلاهما من اموي ، وان كان لتلك الحقبة شعر كثير فقد اهمل جله فضاع لما فيه من التعرض بالسوء الرسالة المحمدية الكريمة .

نسيم نصر

---

(١) مكان باعلى مكة يعرف بالمعلّى . (٢) اعتمرنا : زرنا البيت الحرام واقمنا في مكة . (٣) الجلاد : القتال بالسيوف . (٤) ضرب البيض : كناية عن النصر . العارض : المطر (٥) الاثمد : الكحل .

بيني وبين شهرزاد

بقلم احمد عويدات

★

١٤ نوار ...

لا شهرزاد الأسطورة ولكن شهرزادي انت ، نعم انت . فان تك تلك عزاء وملاذاً لأولئك ذوي الخيالات البعيدة والاحلام التائهة من الكتاب فانت الى هذا واقع عذب يأسرني شكله ويسحرني حديثه ويبهرني تفتح ذهنه .

ولعلها اول مرة لو تعلمين اذكر فيها كلمة « الواقع » فلا تنقبض نفسي ، ولا اشعر بهذه الرجفة الرهيبة التي تأخذ على اسباب غبطتي وصفائي ان كان هنالك غبطة او صفاء . ولست اذكر الى هذا العهد من عمري – الشطر الجميل من الحياة كما يصفه الكتاب – لست اذكر انه راق لعيني واقع استعذبته . فكنت اصفه بالغول الذى يفتح شدقيه مقلداً شيوخ الادب ، واحياناً اصفه بجبال من القنب شدت باوتاد امعنت في الارض ، وبصور اخرى متعددة لا تخرج عن معناها البغيض وكلما اتيت على ذكره وما اكثر ما وخزني شوكه وتجرعت غصصه .

وكأن القدر ، هذا القدر الذي يحمل بيمينه سيفه القاطع « الواقع » لا يقسو حتى يلين ولا يحرم حتى يعطي ولكن بمقدار لا يعدل قسوته وحرمانه . اترينه قد اختصني بأكثر مما استحق حين وصل احدنا بالآخر وجعل الواحد منا على مقربة من رفيقه يأخذ منه اشتاتاً من الحديث ، يشهد الله ، انه حديث الفكر الصرف والفن الصرف !

ماذا اقول وكنت الى عهد قريب اكفر بالمرأة اياً كانت ، وانال من قدرتها وكفاءتها مهما اتت من اعمال او امجاد ، اترى انت من نسيج غير ذاك النسيج ومن جبلة غير تلك الجبلات ، ام انها المرأة دائماً كالقدر لا تعطي الا بمقدار ولا تظهر كل ما تبطن ، شأنها شأن الصدفة المهملة التي يلفظها الموج على الرمال وفي داخلها الدر واللؤلؤ !

انه لمن المكر والخداع ان اخفي عنك هذه الافكار الهائمة التي تعصف بي وانه لمن السذاجة المنكرة ان لا اشعر بهذه الروح الجميلة التي تفوح بالعبق والاريج ، فمن يكتب لك او لمثلك لن يجافي الصدق في القول وان كان لا يحسن جمع الالفاظ الانيقة ويسبكها في قالب انشائي جذاب . ولست ارغب من وراء تدوين هذه المذكرات ونشرها بين يديك ثم بين الناس الا التداول في شؤون يعود نفعها علينا معاً ، وحين اقول ذلك اعني شباناً وشابات غيرنا كثيرين وكثيرات . وليس من المستبعد ان تحمل هذه المذكرات على غير معناها فيسعى بعضهم عن طريق رخيص واسلوب فيه التواء ليفسد هذه العلاقة بالتشهير والمهاترة ، فهل لك ان اهبط الى هذا النفر من الناس فاقول لهم : شابان يجمع بينهما وعي مشترك رائده الاحترام والتقدير !

اعود الآن اليك وفي نفسي كثير من الخواطر التي يحسن ان اعرضها امامك ، ولكنني لن استطيع اليوم ان اخفي عليك شيئاً لعله المدخل الوحيد الى كل هذه المطارحات . اردت ان اقول لك اني اتشبث اليوم ، لا ككل يوم ، بهذا الواقع العذب الذي ترتاح اليه نفسي اشد ارتياح . اريد ان احرص عليه ما وسعني الحرص واريده ان يطول ما امكن من شهور واسابيع لأن شيئاً خفياً لا اتبينه من نفسي يكاد ينبئني انه لن يطول . اخاف ان يفلت زمامه من يدي . ولا احب ان اخادع نفسي فلا شك بانه سوف يأتي هذا اليوم واكاد اتبين بحدسي صدى هذا الصرير الذي سوف يتركه وراءه . اعرف ذلك جيداً واكاد اجزم به . سوف يأتي هذا اليوم ولكن ثقي اني لا انتظره الا خيفة منه وفرقاً من ثقله . اترى يكون لي قوة الجلد على تحمل صريره !

٢٥ منه ...

عشرة ايام مضت لم استطع فيها كتابة حرف ، ان رأسي يعمر بافكار وخواطر كثيرة ولكن هنالك ما يحول دون عرضها ويعوق ابرازها . أتعرفين هذا الشيء الذي يكاد يتلخص في كلمة واحدة ؟ سيقول بعض الناس : ربما الطانينة ، وسيقول آخرون : متيم يحاور ويداور ليلقي اليك بما قد يعانيه من حب وامل فيتخذ الاحترام والاعجاب وسيلة الى ذلك ، وقد يذهب فريق في ضروب من التحذلق الى انني ابث شكوى مريرة قد يكون من الانصاف الرفق به والاخذ بيده . سيقول الناس كل هذا وربما اكثر من هذا .

ولكنني احب ان ادفع عن نفسي هذه الاتهامات واود ان اطرح جانباً هذه الاوهام والتعلات التي يصطنعها فريق ليس بالضئيل . أليس من حقي ان ابرىء نفسي من هذه السهام التي ارمى بها من كل جانب وربما ... منك !

آه ... زفرة لا تحمل الحقد على احد ، وليس في امتدادها ما يدفع الى القنوط او ما هو شبيه بالقنوط ، كما انها ليست من الآهات التي يطلقها اصحاب الشعور المرهف حين يصدمهم شيء لم يكن متوقعاً لهم ، بل ربما تجدين فيها — كما اجد انا بالضبط — معنى عميقاً فيه ارتياح ولا يخلو من صراع . ثقي جيداً انها ليست طلاسم هذه التي اكتبها ، ولكن فريقاً لا يريد الا الكتابة السهلة اليسيرة التي لا تكلف قارئها مشقة او عناء .

آه ... واعيد ترديد هذه الآهة التي لا تحمل سوى هذا القلق الذي يساورني في كل لحظة من حياتي اليومية . قلق ، قلق من جميع الوجوه ، قلق فكري لم يؤت الاستقرار لانني ما ازال احيا هذه الاشخاص الهائمة التي تعصف في نفسي وتكاد تصرفني عما يحيطني من هذه الاعمال الرتيبة التي ارغم عليها مكرهاً ، وهكذا اجدني لا استطيع ان اطلق ذاتي لانصرف الى هذه او انصرف عن هذه الى تلك . وقلق مادي حاد لم يعرف ولن يعرف وجهاً من الوجوه يرتاح اليها وهو كذلك مرتبط بهذه الاعمال الرتيبة ومسوق اليها سوقاً وخاضع لها مكرهاً . وقلق آخر يستقل عن هذين الآخرين ويتصل بها ، واتصاله المباشر بهما عن طريق هذه الامكانيات العضوية التي تقف عند حد لا تتعداه من العناء والتعب حتى اذا اتيح لها قسط زهيد من الراحة قلبتها الى جحيم هذه التيارات الخفية التي تنبعث من الاعماق . تيارات جارفة تغلب عليها الفوضوية او الحيرة او القلق ولا يصهرها تفكير هادىء منظم .

ارأيت الى هذه الاشكال من القلق الخطر الجارف ، فانا اسير هذه الحالات جميعها لا تفارقني ولا افارقها ولا اسلوها فتسلوني ، فالواقع انها تلتحم بي كأنني ما خلقت الا لها وما خلقت الا لي . ولن اذهب في التفكير بعيداً ، فانه لو طلب الى هذه النفس ان تحدد احداً بالذات لما يعاني من اضطراب وقلق لما ترددت لحظة في الجواب ولرأيتها تقول دون اضطراب ولا وجل ولا حياء بل بصوت واثق وحجة قاطعة وايجاز بالغ : هو ذاك احمد ...

ومع هذا أأستطيع ان اعرض لشيء وبي ما بي من هذا القلق الذي يتخذ اشكالاً عديدة من هذا الصراع ؟ ربما ، الم اقل لك انني اجد في ترديد آه معنى عميقاً فيه ارتياح ! !

سوف اتهم بالتناقض والغلو والافراط ، وسوف ارمى بالقسوة والعنف ، ولكن لا بأس فلعلك ما زلت تذكرين تلك البناية التي ذكرتها في قصة* لي نشرتها هذه المجلة على صفحاتها ، تلك البناية التي انطلقت ضخمة من جهاتها الثلاث . ووقف يتأملها ثلاثة من الرفاق كان بينهم بطل القصة ، حتى اذا ما حاول احد الاثنين ان يقول كلمة فيما أنفق فيها من مئات الالوف من الليرات اجاب صاحبنا محتداً :

« كان الافضل ان نقيسها الينا نحن الموظفين فنقول ان هذه البناية تساوي كذا حياة آدمية ما دام ايرادنا من الوظيفة طول الحياة يعد كذا من الليرات ! »

ولا اذكرك اليوم بهذه القصة لارجع عن رأي انكرت فيه حق هذه « الحياة الآدمية » بل جئت لاعيد النظر في هذا الغبن المنكر الذي نزل بهذه البناية ! فالواقع ان لهذا الحجر الجامد وهذه الاتربة اليابسة الحق في ان تستعلي وتثأر لكرامتها . وسترين في هذا المشهد الذي وقع امامي منذ ساعة اوساعتين ما يثير النفس حقاً وما يدفع بها الى ابعد من الاثارة . فقد شاءت المصادفات ان اكون برفقة صديق لي عهد اليه اخوه ، وهو محام ، اكتراء مكتب له في بيروت . وما صعدنا طابقاً او طابقين من بناية جديدة لما ينته تركيب نوافذها حتى كنا في جناح يضم غرفتين عن يمين وعن شمال يفصل بينهما دار واسعة بعض الشيء . مكتب لا بأس به ويكاد يطل على الشارع من جهاته الثلاث . ولم اخف ارتياحي الى هذه النقطة الجميلة من قاب العاصمة فملت على اذن رفيقي احثه على اكترائه ، ولكنه اسرع فقال :

— لا تنس ان الاجرة باهظة هنا .

---

* تذكار صورة : الاديب عدد تموز سنة ١٩٤٧ .

فاجبته كمن لا ينوي التفكير : طبعاً !

ولكنني ما لبثت ان قلت له : سله على كل حال .

الى هنا ليس في الامر من عجب وغرابة ولا يعدو كونه عادياً الى حد بعيد . ومال اليه صاحبي مستنبئاً وبعد مداورات ومقدمات لا بد منها في هذه الحالات احب صاحب البناية ان يختصر فقال وافكاره منصرفة عنا الى بنايته .

– كما قلت لك ، ولا تنتقص ليرة واحدة .

ورأيت نفسي مدفوعاً الى سؤال رفيقي :

– كم ، كم يريد ؟

فظن صاحب العمارة ان سؤالي موجه اليه فما تمالك ان قال بلهجة الجزم المستخف :

– الفان وخمسمائة ، فاذا اعجبك المبلغ فأتني بعقد الايجار .

وربما الى هنا ايضاً يبدو الامر عادياً واية غرابة فيه ! لقد كان يعرف صاحبي ان الايجار باهظ وهو ليس كذلك – في رأي صاحب العمارة – اذا قيس بالمساكن الاخرى .

لن استرسل في سرد هذا المشهد ولا تنتظري اكثر من هذا لانني ما عدت وعيت شيئاً من امره ولأن هذا القلق الذي اعيشه يمنعني من الاسترسال . الا ان شيئاً استفاق في نفسي فرحت اردد دون وعي هذا المبلغ من الارقام وعيناي لا تطرفان عن هذه الغرف الثلاث ادير فيها ناظري يمنة ويسرة ، اتحسس بيدي جدرانها المتربة واعجب لها .

وما ان هبطت الدرج بخطى بطيئة هادئة حتى تصعدت من نفسي حشرجة خفيفة : كذا انت يا احمد . . . في هذه الوظيفة التي لا تدر عليك باكثر مما تدر هذه الغرف ! ارأيت ان ايرادها وهي ساكنة جامدة لا ينقص في كثير عما تتباغ به من الم وعناء لكسب الرغيف ! وقد تجهل ان « حياتها » اطول من حياتك !

٢٨ منه . . .

اني مريض ، ما في ذلك ريب ولا اصلح اليوم لاي عمل . وكأن رتابة الوظيفة قد أتت على البقية الضئيلة من عزيمتي . فقد تراخت اعصابي واستحوذ علي « قرف » منكر . ولو خيرت هذا اليوم واطلقت لي حريتي . . آه فقد ينفع كل شيء الا الكلام عن الاختيار والحرية ، فقد سلبتها منذ زمن .

اصحيح انني انسان لم اعد خليقاً بالحياة ! وانني غلبت على امري فلم يعد في طاقتي ان انحرف خيطاً عن هذه الطريق التي رسمت لي .

وانني انسان فقد الحياة وهو في قيد الحياة !!

يكاد كل شيء في يقول : نعم . ولكن يبدو انه ما تزال في اعماق نفسي منطقة نفوذ لم يصل اليها بعد « الروتين » الاجتماعي انني وان كنت ذلك الموظف الذي يبدو شخصاً كغيره في ملبسه واحياناً في حديثه ولهوه وسيرته . فما زلت احمد . . . الذي يفكر كما يريد هو ، ويكتب كما يريد هو ويحكم على الاشياء كما يرى هو . له مثل اخرى غير هذه التي يعايشها في يومه ، ويحمل على الاخذ بها في مجتمعه .

واذن فانني لم افقد كل شيء . فما يزال الهرم على كل حال نظيفاً وسامياً وحساساً لم يمسه خطر كبير . ولكن ايكفل لي المستقبل سلامة هذا الهرم وهل يسعني ان اطمئن على تفتحه ما دمت في جو يخنق حريتي ورغبتي !

ان امارس اليوم وظيفتي فانا مريض كأشد ما يكون المرض يكفي ان اسلك الطريق الذي تعودته ليتملكني اعياء شديد . ويكفي ان ارى زميلا لي لتنقبض نفسي . انني اليوم انفر من اي شيء يتصل عن قرب او بعد بوظيفتي .

وهكذا لم ابلغ نصف الطريق الذي تعودت ان اقطعه كل يوم حتى انحرفت عن اليمين وكنت في عيادة الطبيب . ولم الحظ سحنته العابسة لانني كنت منصرفاً عنه الى اعماقي . واقول سحنته العابسة لان الكل يعرفه بهذا الوجه الصارم الحاد .

لشد ما كنت ارثي له وهو يضع السماعة على صدري ، ولشد ما تألمت لهذا الطبيب وهو يطرحني مرة على ظهري واخرى على بطني على نضد المرض يتحسس باصابعه ويسأل عن موضع الم دد ما سأل عند موضع آخر .

لقد انتهى الكشف ولم يكشف الطبيب عن شيء . انني اعجب لهؤلاء الاطباء الذين لا يعيرون اهتمامهم الا لاعضاء الجسم ، وما عداها فهو عديم الفائدة . انهم يهتمون بسؤال : ماذا اكلت البارحة ، او ارني لسانك ! اما ان يحاولوا مع مرضاهم بشيء من الكياسة وعلم النفس الى ادراك علتهم الحقيقية فلا يخطر لهم ببال .

انهم ليسوا مساكين ولا ينبغي الرثاء لهم . فلقد كان زملاؤهم العرب في الماضي يتعاطون الفلسفة والحكمة الى جانب الطبابة . اما ترين يا عزيزتي شهرزاد ونحن في هذا العصر انه لو كان لاطبائنا العرب الاقدمين بعض هذه النظريات في علم النفس الحديث لكان لكل طبيب منهم جناح خاص من عيادته اطلق عليه « العيادة النفسية » !

احمد عوبدات

الفن والوضوح

بقلم الدوس هكسلي

ترجمة حسين نصار
ليسانسيه في الآداب

كل الحقائق العظيمة حقائق واضحة . ولكن ليست الحقائق الواضحة كلها حقائق عظيمة . فمن الواضح وضوحاً بيناً ان الحياة قصيرة وان المستقبل غير معروف . ومن الواضح وضوحاً كبيراً ان السعادة تتوقف على المرء نفسه ، ولا تتوقف على الظروف الخارجية . ومن الواضح ان الآباء يحبون ابناءهم، وان الرجال والنساء يجذب بعضهم بعضاً بكثير من الطرق المختلفة . ومن الواضح ان كثيراً من الناس يحبون الريف، وتثير هم مناظر الطبيعة المختلفة فيشعرون بالانتعاش ، والهيبة ، والرقة ، والمرح ، والحزن . ومن الواضح ان معظم الرجال والنساء يرتبطون ببيوتهم واوطانهم ، وبالآراء التي تلقوها في طفولتهم ، ان هذه جميعها حقائق واضحة ، حقائق عظيمة ، لانها لها دلالتها في كل مكان ، ولانها تشير الى خصائص اساسية في الطبيعة البشرية .

ولكن يوجد نوع آخر من الحقائق الواضحة ، وذلك اننا لا نستطيع ان نسمي الحقائق الواضحة التي ليس لها دلالة خالدة ، ولا تشير الى خصائص اساسية في الطبيعة البشرية ، حقائق عظيمة . فمن الواضح لكل امرىء زار نيويورك او سمع عنها من بعد ان فيها كثيراً من السيارات الكبيرة وعدداً من البنايات الشاهقة . ومن الواضح ان ملابس الليل طويلة في هذا العام . وانه يوجد قلة من الناس يرتدون القبعات العالية والبنيقات المرتفعة المنشاة . ومن الواضح انك تستطيع ان تسافر من لندن الى باريس بالطيارة في ساعتين ونصف ، وانه توجد صحيفة تسمى « سترداي ايفننج بوست » ، وان الارض كروية ، وان مستر رجلي يجتر الطعام على لثته . وعلى الرغم من وضوح هذه الحقائق ، في الوقت الراهن على اية حال — لانه من المحتمل ان يأتي زمن تطول فيه الملابس الليلية عن ذلك او تقصر ، بل ترتدى فيه تلك الانواع من الملابس الليلية ، وتصبح فيه السيارة تحفة اثرية ، مثل الآلات الموجودة في اريوهن — فانها ليست حقائق عظيمة فقد يبطل صدقها دون ان تتغير الطبيعة البشرية اصغر تغيير في شيء من خصائصها الاساسية .

ويستخدم الفن الشعبي الآن كلا النوعين من الحقائق الواضحة العظيمة او الصغيرة . فاذا تساهلنا في العدد نجد الوضوح الصغير يؤلف نصف المجموعة الكبيرة من الروايات والقصص والافلام الحالية . اذ يجد العدد الاكبر من الجمهور لذة كبيرة في مجرد التعرف على الاشياء والظروف المألوفة . ويبدو ان الاعمال الخيالية المحضة التي تنتزع موضوعها من العوالم الاخرى اكثر مما تنتزعه من ذلك العالم الذي نعيش ونتحرك ونقضي حياتنا اليومية فيه ، لا تثير اعجابه . فيجب ان تحتوى الافلام على كثير من السيارات الحقيقية ورجال الشرطة الحقيقيين والقطارات التي لا شك في حقيقتها . ويجب ان تتضمن الروايات الاوصاف الطويلة للغرف والطرقات والمطاعم والحوانيت والمكاتب التي يألفها الرجل والمرأة العاديان . ويجب ان يستطيع كل قارىء ، وكل فرد من النظارة ان يقول راضياً : « آه ، توجد سيارة حقيقية ، يوجد شرطي ؛ هذه غرفة تشبه غرفة آل براون كل الشبه » . اذ القدرة على التعرف ميزة فنية تثير معظم الناس اعمق الاثارة .

وليست هذه الحقائق الواضحة الصغيرة هي الوضوح الوحيد الذي يقدره الجمهور تقديراً كبيراً ؛ بل يطلب الجمهور الحقائق الواضحة العظيمة ايضاً . فيطلب من الفنانين الاحوال المعروفة مثل حب الامهات للاطفال، وفضل الامانة ، والتأثير المنعش الذي تحدثه مواطن جمال الطبيعة في السياح من المدن الكبيرة ، وفضل زواج العاطفة على زواج التسلية ، وقصر العمر البشري ، وجمال الحب الاول ، وما الى ذلك . ويبحث عما يؤكد انتظام هذه الحقائق الواضحة العظيمة تأكيداً مستمراً . واجاب الفنانون الشعبيون حاجة الجمهور ، فقرروا حقائق الطبيعة البشرية الواضحة العظيمة الثابتة ، ولكن للاسف اساءوا تقريرها في غالب الاحيان اساءة جعلتها لا تتفق مع الذوق الحساس ، بل وتؤذيه . وقد اشرت الى

ان حب الامهات الاطفال من الحقائق الواضحة العظيمة ، ولكن عندما يؤكد هذا الحق الواضح العظيم في احدى اغاني الطفولة الرديئة ، او في احدى القصائد السخيفة ، او في قصة منشورة في احدى المجلات القصصية لا يستطيع الانسان الحساس الا ان يشيح بوجهه عنها خجلاً للانسانية جمعاء .

وكان القدماء في الغالب يقررون الحقائق الواضحة العظيمة تقريراً مؤكداً كريهاً ، بصورة تجعل هذه الحقائق تبدو كأنها ليست حقائق عظيمة ، وانما اكاذيب عظيمة مخيفة ، فتلك هي القوة السحرية لعدم المهارة الفنية ، ولكن تلك الاخطاء لم تبلغ ما بلغته في العصر الحاضر في الكثرة . ويرجع ذلك لعدة اسباب ، فقد خلق انتشار الثقافة والفراغ والانتعاش المادي الحاجة الى الفن الشعبي ، تلك الحاجة التي لم يوجد نظير لها من قبل . ولما كان عدد الفنانين الموجودين قليلاً على الدوام ، اجاب الفنانون الضعفاء هذه الحاجة ومن ثم كان تقرير الحقائق الواضحة العظيمة ناقصاً في الغالب ، ولهذا السبب كان كريهاً . ولعل الثورة على الاوضاع القديمة وآلية العمل والفراغ (اللذين أعدما مجهودات مجموعة كبيرة من الرجال والنساء المتحضرين الخلاقة) كان لها تأثير سيء في الذوق والاحساس العاطفي الشعبي ، ولكن الحقيقة الباقية — مهما كانت اسبابها — هي ان العصر الحاضر اظهر لنا قدراً لم يسبق له نظير من الادب الشعبي (الشعبي بمعنى انه للشعب ، لا من الشعب) وتلك هي المأساة الحديثة ، وان هذا الفن الشعبي يتألف نصفه من الحقائق الواضحة الصغيرة ، الموضوعة وضعاً واقعياً متقناً مجوداً ، ونصفه الآخر من الحقائق الواضحة العظيمة ، الموضوع معظمها وضعاً غير متقن (حيث كان من الصعب التعبير عنها تعبيراً كافياً) فبدت مزيفة وكريهة .

وكان وضع الاشياء بهذه الصورة ذا تأثير عجيب لم يسبق له مثيل — على ما اعتقد — في جماعة من اعظم فناني عصرنا احساساً وشعوراً بذاتهم . فخافوا الوضوح سواء العظيم منه او الصغير ، ولو تحرينا الحق وجدنا ان كثيراً من الفنانين في جميع العصور خافوا من الحقائق الواضحة الصغيرة ، بل ولو اردنا الدقة لقلنا احتقروها كذلك . فالطبيعة ظاهرة نادرة في تاريخ الفنون ندرة نسبية ، وما كرا قجيو والفنانون الفكتوريون الا شواذ ، لا تنطبق عليهم قاعدة منتظمة . والحقيقة الفريدة هي ان جماعة من اعظم فناني عصرنا احساساً رفضت الواقعية الخارجية (ذلك العمل الذي كنا ندين له بالشكر) وكذلك رفضت ما استطيع ان اسميه الواقعية الداخلية ، فرفضوا ان يقبلوا في فنهم شيئاً من حقائق الطبيعة البشرية ذات الدلالة الكبرى . وملأهم القدر الهائل من الادب الشعبي فزعاً من الوضوح ، بل ومن النقاء والجمال والاعجاز الواضح . ولكن لما كانت تسعة أعشار الحياة تقريباً مؤلفة من الاشياء الواضحة ، كان معنى ذلك اضطرار فنانين عصريين حساسين الى الاقتصار على الاستفادة من نصيب ضئيل من الوجود .

واعظم المراكز الفنية المعاصرة شعوراً بذاتها هي باريس ، هنالك أثر هذا الخوف الجديد العجيب من الوضوح اعظم ثمراته ، كما كنا نتوقع . ولكن ما يصدق على باريس يصدق على عواصم العالم الفنية الاخرى . اما لانها تعمد الى تقليد النماذج الفرنسية تقليداً ماهراً ، او لانها مقادة بظروف شبيهة بظروف باريس مما يجعلها تحدث نفس رد الفعل ، اذ لا يختلف فن الاقطار الاخرى المتقدم عن فن فرنسا الا في قلة تكلفه وتقدمه . فنستطيع ان نرى في كل قطر ، وان اتضح ذلك في فرنسا ، كيف احدث الخوف من الوضوح نفس التأثير . ونرى كيف عريت الفنون التصويرية من جميع مزاياها الفنية ، وكيف ارتدت الصور والتماثيل الى عناصرها الشكلية . فأبعد عن الموسيقى كل تعبير عن الاحساس المثير او الحزين او الرقيق ، واقتصرت على التعبير عن النشاط الجسدي ، ومن السرعة والعاطفة الآلية . وتشبعت الموسيقى والفنون البصرية ، ان كثيراً وان قليلاً ، بتلك الرومانتيكية الجديدة ، التي ترفع من شأن الآلة والجمهور والجسم القوي ، وتحتقر الروح والوحدة والطبيعة . وامتلأ الادب بنفس الرومانتيكية الضالة . فبسطت موضوعاته تبسيطاً تحكمياً بابعاد كل امور الطبيعة البشرية الواضحة العظيمة الخالدة . ويبرر هذا العمل تبريراً نظرياً بنوع من فلسفة التاريخ تقول — قولاً خشناً مزيفاً على ما اعتقد — بان الطبيعة البشرية تغيرت تغيراً تاماً في السنوات القلائل الاخيرة ، وان الانسان العصري يختلف عن اجداده ، او على الاقل ينبغي ان يكون كذلك . ولا يظهر خوف الكاتب من الوضوح في الموضوع فحسب ، بل يفزع من الوضوح ايضاً في اداته الفنية ، ذلك الفزع الذي يؤدي به الى بذل المجهودات الجبارة لتدمير اللغة المتطورة الى الكمال تدريجياً . فهؤلاء هم الذين يعرضون فوضى تامة عرضاً كاملاً منطقياً غير رحيم ويودون ان يروا تدمير جميع الفنون وجميع العلوم وجميع المجتمعات المتحضرة من اي لون كانت ، ولا ندري المدى الذي يستطيع الخوف الفجائي ان يجرف ضحاياه اليه .

وهكذا نرى ان اجرأ ما في الفن المعاصر ثمرة للفزع ، الفزع من الوضوح في عصر الاسفاف الذي لم يسبق له مثيل . وان منظر

أثر التربية في المجتمع

بقلم الدكتور فؤاد ماردبني

اهتم رجال الفلسفة والعلم والادب منذ اجيال اهتماماً شديداً بالمناهج التي يجب تطبيقها في المدارس الابتدائية والثانوية، وصرف كل منهم في هذه الغاية النبيلة جهوداً جبارة، خدمة للانسانية التي هي مثل اعلى لكل فرد من افراد الكون، وتطورت هذه المناهج مع الزمن مماشية تطور المجتمع بافكاره ومفاهيمه مسايرة تطور انظمته ومقتضياته الحياتية، وانتهى هذا التطور الى وجود ما نسميه اليوم بالمناهج الحديثة التي وضعها رجال الفكر الحديث.

ولقد ظهر هذا النشاط في بلادنا منذ سنين عديدة، واخذ رجال التربية والتعليم يفكرون في هذه المسألة الحيوية تفكيراً صحيحاً للتخلص من القيود البالية التي قيدنا بها المستعمر، وحثت وزارة المعارف رجال التعليم على تأليف كتب لتدريس الناشئة على الطرق الفنية الحديثة، لتهذيب ارواحهم، وتغذية افكارهم، وتكوين شخصياتهم، وتوجيههم توجيهاً حسناً يتخلص الطفل معه من قيود الرجعية، فيستطيع ان يحمل في المستقبل مشعل الحرية ورسالة الانسانية لامته وللعالم.

يظهر ان هذه المسألة الحيوية التي تتعلق بها مقدرات الامة، شغلت بال الكثيرين من شبابنا المثقف الذين يهتمون بتطور الانسانية تطوراً مادياً، وتطوراً فكرياً، وتطوراً اخلاقياً للوصول الى الاهداف السامية التي ينشدونها، باذلين جهدهم في سبيل تحقيقها، فان اصابوها كان خيراً وان اخفقوا فسيتابعون سيرهم حتى يدركوها.

ولقد بحث رجال الصحافة هذه المشكلة بحثاً دقيقاً، واشبعوها دراسة وتمحيصاً، وناقشوها على ضوء النظريات الحديثة ومفاهيم العصر الحاضر، وان كنت شديد الاعتقاد بان هذا الموضوع في بلادنا العربية لم يوف حقه، وكم كنت اتمنى ان نلتفت الى هذا الموضوع الحيوي التفاتاً جدياً، لما له من الصلة الوثيقة في تقدم الامم وتطورها.

يستدل مما اسلفنا ان التربية ركن اساسي في نهضة الامم. فيجب والحالة هذه ان تهتم الحكومة في بلادنا بالتربية والتعليم اهتماماً شديداً لتكوين نشء جديد، جدير بتحقيق المثل العليا التي تتطلبها كل امة ترغب في ان تساوي الامم الراقية القوية، هذه الامم التي تنظر الى الامم الضعيفة المتأخرة نظرة ملؤها الاحتقار والازدراء، فتلعب بمقدراتها كيفما شاءت وشاءت الاقدار.

وليس من شك في ان تكوين هذا النشء لا يكون الا على يد اساتذة اخصائيين خريجي معاهد عليا للتربية والتعليم، غير ان الآراء تختلف في الاساليب والمناهج الدرسية. ففريق يرى ان سعادة الامم تتوقف على تربية الجيل القادم تربية تتلاءم مع التقاليد والنظم الاجتماعية القديمة التي اعطت – على زعمهم – نتائج حسنة ويرى الفريق الآخر افلاس هذه الاساليب والمناهج التي لا تتمشى مع روح العصر الحديث فينادي بوجوب الاندماج بالمدنية الحديثة كما تتطلبه روح هذه الحضارة. وحجتهم في ذلك ان المناهج تتطور وتتغير بتغير الزمان والمكان والحضارة.

لنبحث هذا الرأي الاخير، وقبل ان نتعمق في بحثه يجب ان نناقش البرامج والمناهج الدرسية واساليب طرق التعليم، ونحكم بعدئذ اي المنهاجين افضل. ومن المستحسن ان نعين الهدف الذي نرمي اليه والغاية التي نريد تحقيقها سواء لاصلاح الفرد او لاصلاح المجتمع.

فتطبيق المبادىء تتعلق بالمبادىء نفسها، والجدل في العودة الى التقاليد او الاندماج بالمدنية الحديثة لا يجدي نفعاً اذا لم نتفق بصورة واضحة على مفهوم التربية، لان الصراع لا يزال قائماً بين القديم والجديد.

وقد يتفق الفريقان على جملة معروفة، وان اختلفا ضمناً على

هذه الجراة التي ولدها الخوف لمنظر موسف محزن. فلو اراد الفنانون الناشئون ان يبرهنوا على شجاعتهم فعليهم بمهاجمة كابوس الوضوح ومحاولة التغلب عليه، واستئناسه فينا، لا ان يهربوا فزعين منه. لان الحقائق الواضحة العظيمة حقائق ثابتة. اما هؤلاء الذين ينكرون وجودهم، هؤلاء الذين يدعون ان الطبيعة البشرية تغيرت منذ اليوم الرابع عشر من اغسطس عام ١٩١٤ فليسوا الا مسوغين لفزعهم وانخطاطهم. اذ يعد الفن الشعبي تعبيراً قاسياً خشناً، والرجال والنساء الحساسون يكرهون ذلك التعبير القاسي، ولذلك انكروا وجود هذه الاشياء المعبر عنها بتلك الصورة، وكان ذلك منهم رد فعل طبيعي وان كان غير علمي. ولكن هذه الحقائق موجودة بالفعل، وما دامت موجودة، فلا بد من مواجهتها ومحاربتها واخضاعها لنظام فني. اذ ان تظاهرنا بعدم وجود الاشياء الموجودة بالفعل يؤدي الى ان يحكم قدر كبير من الادب الحديث الناضج على نفسه بالنقص والفقر والشيخوخة المبكرة والموت.

القاهرة — حسين نصار

طرق تحقيقها، وهذه الجملة هي « ان الغرض الرئيسي من تربية الطفل هو تنمية شخصيته وجعله رجلاً ذا ارادة قوية » . فهذا المفهوم يعطينا حالاً فكرة عن فلسفة حياة البشر ونموها التي تتفق مع اساليب متنوعة ومناهج مختلفة، اعقبت على مرور الاجيال الاوضاع الاجتماعية والطقوس الدينية .

فتدعي المدارس الاجتماعية ان المجتمع هو الذي كوّن الرجل، وخلق مفاهيمه الاخلاقية، ووجه ذكاءه، فتربية الطفل تعني اندماجه بالمجتمع الذي يعيش فيه . اما رجال الدين فيقولون : ان التربية يجب ان تستقي مادتها من الافكار الدينية . وان غاية التربية تهذيب النفس والروح وتنقيتها مما علق بها من الادران، اعداداً لها للحياة الازلية . والمرء يكون سعيداً او معذباً نظراً لاعماله الحسنة او السيئة في الحياة . ثم تطور هذا المفهوم فنجد ان « دوركايم » يقول : « ان الاوضاع الاجتماعية هي التي تخلق التربية، وان الافكار الدينية ملك المجتمع وللحضارة » . وكذلك منهج التربية الذي يعمل على اكتشاف قابليات الافراد وتنميتها، وتوجيهها الوجهة التي تتفق مع اهداف المجتمع وغاياته، فيقوي فيهم الابتكار ويغرس في نفوسهم حب النظام، فان هذا المنهج يجب ان يقوم على توجيه افراد قد عرفوا كنه الحياة الاجتماعية وعوالمها الخفية .

وبالرغم من هذا فالتربية التي ليس لها هدف توجه الطفل اليه ليست بصالحة لانها تحرمه من جميع امكانيات الحياة الاجتماعية، وان شئت فقل تحرمه الحياة نفسها . وهنا يعارض رجال الدين ذلك بقولهم : ان الاعتقادات الدينية في حياة البشر ظاهرة منذ انبثق فجر الفكر في ظلمات القرون الاولى . وان هذه الرسالة هي اساس لجميع النظريات التربوية . ومهما يكن من تأثير التربية في المجتمع فانها لا تستطيع ان توفق بين حياة الطفل وحياة الرجل الاجتماعية وانما كل ما في استطاعتها ان تحمل الطفل على الاقتداء بحياة الرجل .

ولقد نسي هؤلاء الافاضل او تناسوا ان التربية بعد ان تسمح للطفل تعود المجتمع الذي يعيش فيه، تسعى لتكوين طفل اكمل واصلح من مجتمعه . ولهذه الاسباب قالت الفلاسفة : ان التربية تتقدم المجتمع بخطوات وتسعى لاصلاحه ورفع مستواه .

مما لا شك فيه ان فلسفة العلم تتقدم العلم ذاته، وان فلسفة التربية قد نشأت من الحياة الاجتماعية غير انها بعد ان اصبحت قواماً للتعليم اخذت توجه الجيل القادم . وهذا ما يؤكد القول الذي مؤداه « تتقدم التربية في غالب الاحيان المجتمع وتؤثر فيه » .

فالمناهج التربوية وتبدل الحالات الاجتماعية ترتبط اذن بعضها ببعض غير انها لا تتبع خطوات واحدة . او ليست هذه الازمة الحالية ناشئة من عدم ملاءمة مناهجنا التربوية لما يقتضيه وضعنا الحاضر ؟ او ليست ناشئة عن عدم تبديل قواعدها الاساسية التي بقيت — رغم جهود وزارة المعارف — على حالها . على انه قد جرى بعض التعديل في السياسة، والاقتصاد، والاخلاق استوحتها الحكومة مع الاسف من مثل اعلى مهجور . وهذا ما يؤيد ان المناهج التربوية تتبع اتجاهاً يختلف عن اتجاه مجتمعنا الحاضر . وان السبيل الوحيد لاصلاح هذا المجتمع هو اصلاح المناهج التربوية وتبديل قواعدها الاساسية التي وضعت في عهد الانتداب .

ولا زال اصحاب المدرسة القديمة يتمسكون بالمناهج التربوية القديمة ويقولون ان استعمال هذه المناهج في حدود انظمة المجتمع وتقاليده الموروثة يمكن ان تؤدي الى نتائج حسنة . نعم من الممكن الاستفادة من تراثنا القديم، ولكن البحث يشمل الاساليب والاهداف التي تنبثق عن روح العصر وتساير تطوراته، ولا سبيل الى الرجوع الى تلك الاساليب المهجورة، فالتاريخ وعلم الاجتماع يعلماننا ان التراجع والسير المخالف لمجرى الحوادث ومجرى الحياة شيء مستحيل .

اما اصحاب المدرسة الحديثة فانهم يفتشون عن مثل اعلى جديد يلائم الاحوال والظروف الحاضرة والمدنية الحديثة، وبكلمة موجزة المثل الاعلى الذي يحمله المربون عن طريق المدرسة الى المجتمع .

يستنتج مما اسلفنا اهمية الشؤون التربوية التي تجتاز حدود تقدير الفلاسفة التي كانت وليدة تفكيرهم وابحاثهم . فهي في وقت واحد مسألة اخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية . فيجب والحالة هذه ان لا تكون محصورة في ثنايا الافكار فحسب وانما يجب ان تظهر الى حيز العمل وان تكون في متناول الشعب عامة . فتوجيه الاطفال والشباب، ومقدرات سوريا والبلاد العربية — بل يمكن القول ان مقدرات الانسانية — تتعلق بالقواعد الاساسية للمناهج التربوية .

وان هذه المسألة الحيوية التي استعصت على الكثيرين من رجالنا لم تستعص على الاستاذ عبد الكريم خليفة . وقد تناول في كتابه التربية واصول التدريس هذه الابحاث، فبحثها بحثاً دقيقاً وشرحها شرحاً وافياً، واستخلص الميول المختلفة التي استولت في العالم على الشؤون التربوية . وبذل في سبيل ذلك جهوداً جبارة يقدر عليها المؤلف، واظهر دون تحيز فوائد واخطار النظريات القديمة والحديثة، واستنتج قواعد عامة لمنهج يطابق في وقت واحد المدنية الحديثة وتطور الانسانية .

دمشق — فؤاد ماردبني

القبر المجهول.

مهداة الى روح نيتشه

•

ابكني ، ابكني فأني ميتٌ نبذته مدينة الاحيـاء
فتلقته ربـة الوحي سراً في ظلال الكآبة السوداء
سـار نعشي تجره ذكرياتي نحو قبر هامت به كهرياني
منه تمتد هوة الله حتى تتلاشى في عـالم لا نهـائي
نغمات المجهول تخفق في قلبي وقلبي يعـوج بالاصـداء
والكآبات تغمر النفس بالصمت وتذرو الاطياف في احشائي
فأبث الالوان من شرفة الروح مطـلاً عـلى ضباب ناء
جامحَ الوجد، مستباح الاماني ساحباً عالم الخيال ورائي
ههنـا موكب الملائك يرتاد اختيـالاً مرنّح الاسراء
اتراه يجر نعشي الى الله ويـذرو بنفسـج الايحـاء
حفنة ، حفنة يتمتم في نفسي صداها مزغرداً في دمائي
آه . . من يقنع الكآبة بالصمت ويطفي مشاعل الاغواء
عزلة تخفق الحقـائق فيهـا لا تبـالي بثورة الضعفـاء
تركت موكب الشعوب على الارض وراحت تهيم في الظلماء
تدفن الآن نفسها بانتظار الفجر ، تثوى بالنفحة العذراء
اين قبري يا ليل انك ادرى بحياتي فانت رمز شقـائي
انا في جوفك المقدس سر تتحداه فكـرة الشعراء
ان جوف الاله قبري المفدى لا تبح ، لا تبح بسر انطوائي
نحن ظلان : انت ظل لارض وانا ظـل فكرة في السماء
ظلٌ في الارض فكرة تظهر النور وتبدي مواكب الجوزاء
لا تلمني اذا تركتك يا ليل وحيداً تطوف في الغبراء
أترك « الامس » و « الغد » السمح للناس وأمضي مجلبباً بسنائي
قد دعاني صوت من الملأ الأعـلى لسر تشتـاقه حوبائي
لا تخف ، لا تخف سأترك جسمي فتلمه من رياح الفنـاء

مصطفى قعقور عبدربه

في مسـهر

•

لقيتهـا في مسهر راقص حائرة كالراغب الهـائب
ترمقها الأعين أنى انثنت ما أعلق الانظار بالكاعب!
والحفل جذلان فمن غادة تشدو ومن مستحسن صاخب
ومن منساغ راض أهواءه رنين ذاك النغم الذائب
فكان في الرقة مثل الشذا منطلقاً في همسه العاتب
ومن لعوب شائق ظرفهـا تفتن في اغرائهـا الراتب
تقلّب الانس بألوانـه مباهجاً في المسهر اللاعب
فرف قلبي للجمال الذي وددت لو كان الى جانبي
تكاد عيني من سروري به تذرف من لؤلؤها الناضب!
قد هزني الحسن فلم ألتفت الا اليه — والطلى صاحبي —
وغـادة المسهر لمـا ترل عن فرحتي في شغل دائب
في طرفهـا تلمع ايمـاضة لها بريق الكوكب الثاقب
يطلّ من نظرتهـا عالَمٌ فيه غموض الحُلم الخالب
في وجهها الطلق أرى مسحة من صفرة كالقبس اللاهب
شاحبة الوجه ولكنهـا جذابة كالأمل الشاحب
لازمت الصمت . . على انها مبينة في زيها اللاحب
كأنهـا في صمتهـا طفلة ترقب عود الوالد الغائب
تلفتت نحوي : . فهل ادركت ما تركت في قلبي الراهب ؟
واختلجت في ثغرها بسمة كانت لعيني نهلة الشارب
فاضطربت نفسي واغرورقت عيني لهذا الطرب الناصب
ما كان أغناها بهذا الصبا عن احتضان الشغف الكاذب
تركتهـا والحفل في عنفه حـائرة كالهائب الراغب

بغداد

ابراهيم عوبديا

الخريف

•

كل شيء موشح باكتئـاب زرقة البحر ، واحمرار الهضاب
والغيوم الدكناء تنشر ظلاً ، اغبر اللون ، في سفوح الروابي
والنسيم العليل ، مات ، وهبت عاصفات الرياح ملء الشعاب
وتعرّت على الرياض غصون ، وتلاشت اوراقها في التراب
والدوالي ، محنية الهام سكرى ، مثقلات الاغصان بالاعناب
غارت العين ، والجداول جفت ، والسواقي وخضرة الاعشاب
وجرى النهر ، كالعليل وئيداً ، يلفظ الروح في خضم العباب
و « السنونات » غادرت سقف بيتي والحساسين ، والقطا في الركاب
والعصافير ، لم يعد يحتويها عشها الغض ، في ظلال القباب
يا لهول الخريف ! ! فرق حتى هانئات الطيور « من احباب »
يا « سنونات » ! ! ارجعي آنسيني ، انا وحدي الغريب بين صحابي
لست ادري ، أتذهبين جنوباً ؟ ام شمالاً ؟ وهل سعدت بيابي ؟
يا طيور الخريف ! ! عودي فاني لن اذوق الهناء ، بعد الغياب

انا يا طيرُ ، كالربيعِ ولكن   شاخَ قلبي ، ولم ازل في شبابي
وحياتي الخريف ، والناس ظنوا   ان زهو الشباب ملء ثيابي
يكمن البؤس ، في قرارة روحي   ، والاقي الرفاق ، غض الاهاب
احمل الهمّ في فؤادي ، وينزو   جرح قلبي ، بألف لون عذاب
بسمتي الهزء ، والمجون احتقار   للرزايا ، وللشقا ، والصعاب
انا يا طير — كالخريف ، نضوجاً   — من كرومي ، غداً يسيل شرابي
في غدي ... يورق الخريف ، ربيعاً ،   ثم تغفو ، على الرؤى اهدابي

حمص   محمود عبسي

اللقـــاء الاخيـــر

•

جئتُ ظمآن للهوى لا لعينيكِ ، وأحييتها جراحاً دفينة
أتقني العذاب منكِ لعلّي لم أزل في هواكِ من تعرفينه
أنهل اليأس من يديك وأحيا بجموع من الرؤى مسجونة
كلما ثار في دمي الشك أوهته طيوف من مقلتيك حزينة
سألتني عيناكِ عن شبح ولّى ، فحاولت مخلصاً أن اكونه
ومشت في فمي خطوط من البؤس تلاشت في بسمة مسكينة
وتلفتّ لا أرى غير دنيا فقدت نورهـا وعادت ضنينة
لم يعد لي قلبٌ تعيش به نجوى ونفس بشجوهـا مفتونة
غير شيء في الصدر مختنق الالوان يقسو كدمية مسنونة
بين روحي وبين روحك أستارٌ وعندي غير الذي تفهمينه
حينما عاد بي الطريق تناسيت بقايا ظلّت لديك رهينة
ثم تابعتها خطى تتهاوى في صداها ضعيفة موهونة
كل ما يملأ المغاور من حولي صراخ وضحكة مجنونة

بغداد   اكرم الوتري

«قلــق»

مهداة الى «قلق» البير أديب المنشورة في عدد تموز ١٩٦٨

•

متعبٌ أنت فالضيــاء بعينيكَ ظلامٌ يا مرســل الاضواء
مسح المجد جبهة الادب العالي ففاضت مواكباً من سنــاء
أنت اطلعت في مراحل هذا الجيل اشعــاع فكرة سمحاء
وركزت اللواء للادب الحر طليــقاً يشق سمت السماء
أنت اعطيت ثم اعطيت حتى جَمُدَ الدمع في عيون السخاء
انت مثل الورود تعطي ولا تسأل الا عن لذة الاعطــاء

انت حلم النوّار حلم ربيعٍ   رفّ في روضة النهى الخضراء
بك قد امرعت رياضي وطافت   نفحــات العبير في اجوائي
فــاذا بالصخور تنبت ورداً   في جنان من الهدى غنــاء
عقّك الجيل وانبرى الجهل يزجي   خطوات الجحود والكبرياء
عقك الجيل — عفو حكمك عنه —   عفو حسن البنــاء والبناء
انت تخشى ارث العقوق وتأبى   ان يموت الوفــاء في الابناء
قلقٌ انت من غد ، فتمهل   ربّ صبح يرف من ظلماء

زحلة   جوزيف جحا

أنـــا ...

مهداة الى «انا» البير أديب المنشورة في عدد آب ١٩٦٨

•

انا في زحمة الوجود ... أسيرٌ   مثخن بالجراح .. يا للجراح ! !
كل حلم هدهدته ، نام ظمآنا ..   وأغفى على سرير النواح
انا اهفو الى البعيد .. ولكن   عاصفات الزمان القت سلاحي
كلما شمت بارقاً في ربى المجد   تعالى الانين . خلف وشاحي .
في صباح الزمان ، ارسلتها كهواً ،   صلاة تموج فوق البطــاح ،
من دمي الثائر ، اللهيف ، ومن   تزآر قلبي ، ومن لهيب الكفاح .
واستحمت بالنجم ، انشودة المجد ،   وطارت الى الجنان الفساح .
... وعى الزمان ، مرتعد العزم ،   ذليلا اما احس صياحي ..
انا والمجد ، والزمان .. تلاقينــا   على ذروة العلى والفلاح ،
وشكا المجد غصة . فسقته   مهجتي ، وانحنى عليه جناحي .

دمشق   محمد شمس الدين

يــا قلبي ..!

•

عهدتك لا تشكو ولا تتهمُ   فمالك يا قلبي تشيب وتهرمُ
عهدتك تصبو للجمال وللرؤى   وتهفو الى سحر الحياة وتحلم
فمالك لا يشجيك لحن مجنح   وسيان في دنياك عرس ومأتم
أأنت الذي ما كنت تحفل بالأسى   وان هاجت الآلام لا تتألم
وتطفح بالبشرى وتزهو وتنتشي   وتنهب لذات الحياة وتنعم
كثير عليك الهم والسقم والضنى   وانت طموح مرهف الحس ملهم
اتذبل يا قلبي وفي ميعة الصبا   وحبك في روض الصبابة برعم

عمان   المحامي راتب دروزه



الموجز في تاريخ الفنون

لاحمد غالب سالم – ١١٦ صفحة – المكتبة العربية – حلب

هذا كتاب تعليمي وضع ليكون اساساً لثقافة الجيل الجديد الفنية . الا ان النفع منه لا يقتصر على تلاميذ المدارس ذلك لاننا كلنا لا نزال في مصاف التلاميذ في ميدان الفنون ولا سيما فنا الرسم والنحت . واغلب المثقفين منا لم يؤمنوا ببدائع الفن الا بطريق الايحاء والتقليد فهم قد قرأوا وسمعوا عن رافاييل وميكل انجلو وردوان وعن الجيوكوندا والعشاء الاخير وتمثال داود، فوقر في نفوسهم ان اولئك عباقرة وان هذه بدائع لا مثيل لها، ولكن فهمهم لحقيقة العبقرية والابداع لم يتكون على اساس راسخ واقتناع صحيح . لذلك فان كتاباً في تاريخ الفنون هو ذو قيمة لي ولك مثل ما هو كذلك للطلاب الذين قصدهم المؤلف في تأليفه كتابه .

ومؤلف الموجز الاستاذ غالب سالم مجاز في الرسم من اكاديمية روما ، فلا عجب ان يقتصر تاريخه على فنون الزخرفة والرسم والنحت ، وهذا ما آخذه عليه تسمية كتابه بتاريخ الفنون بينما اقتصر على بعض الفنون وليس كلها . وقد بحث في هذا الجزء من الموجز في الفن البيزنطي وفن النهضة ولا شك في ان ما كتبه عن الفن البيزنطي ، ونحن قليلو المعرفة به ، قد اعاض عن نقص ذي بال . وقد نبهنا المؤلف الى خطورة النقص بتذكيره ايانا ان الفن البيزنطي هو فن شرقي ينتمي الى المواطن التي ننتمي اليها فيحق لنا ان نفخر به وتجب علينا العناية بدراسته . وهذه « الشرقية » في الفن يهتم بها الاستاذ غالب سالم كثيراً فلا يدع مناسبة تفوته دون ان يذكرها كما انه يتلمس آثارها من الفن العربي فينبه اليها تنبيهه الى العلاقة التي تربط مواطن الفن الغربي بالشرقي .

اما بحثه عن فن النهضة فهو اوفى من بحثه في فن بيزنطه ، اذ لم يقتصر هنا على دراسة الفن بجمله بل تعداه الى دراسة كبار الفنانين دراسة موجزة تمتاز عن الدراسات التي نعرفها بذكر الخصائص الفنية لكل واحد منهم في ابرز نواحيها ، وهذا امر لا يقوم به الا فنان متفهم لحقيقة ما يذكره ، وهذا ما تدل عليه دراسة الاستاذ غالب سالم . فهو في بضعة اسطر يكتبها لك عن خصائص ليوناردو دافنش تيتزانو يبين لك من الفرق بينهما ما لا تصل اليه في التراجم المطولة لكل من هذين الرسامين .

وقد اضاف الاستاذ غالب سالم الى كتابه لوحات فنية عديدة تعاون القارىء على تفهم ما يرد في الكتاب . وما يتعلق منها بالفن البيزنطي ذو قيمة كبيرة ، اما لوحات فن النهضة فقد الفنا ان نراها مطبوعة خيراً من طبعتها في « الموجز » . ولا شك في ان الطباعة ، قد تركت في هذا الكتاب كثيراً من الاغلاط التي شوهت من جماله ، وكذلك لم تخل كتابة المؤلف من هنات منشؤها تجاوزه في استعمال كلمات عامية قريبة من الفصيح كان يمكنه استبدال غيرها بها . وفيما عدا ذلك فلا شك بان كتاب « الموجز في تاريخ الفنون » كتاب يجب ان يقرأ .

دمشق — الدكتور عبد السلام العجيلي

الاونسكو

لحسن صعب ١٦٨ صفحة – دار العلم للملايين – بيروت

اتى على الامة العربية حين من الدهر ، كانت تقف فيه من الحياة الدولية موقف المتفرج ، ولم يكن هذا الموقف نتيجة الارادة العربية ، ولا تعبيراً عن رغبة في الانعزال ، بل ادت اليه النزعات الاستعمارية للدول الكبرى ، التي سعت للحيلولة بين الامة العربية وحقوقها الاولية في الحياة القومية ، بله الحياة الدولية .

ولم يكن من الطبيعي ان يطول الامد بمثل هذه الحال . فالعالم يتطور تطوراً معنوياً ومادياً يؤدي بالشعوب الى التنبه تنبهاً قوياً لحقوقها المشروعة . والامة العربية تتطور تطوراً داخلياً يقوي لدى ابنائها الشعور بوجودهم الذاتي ، ويدفعهم في كفاح استقلالي متصل الحلقات ، يؤتي اكله بعد الحرب العالمية الثانية فتدخل سبع من دولهم بسيادة تامة ، الميدان الدولي ، لتساهم فيه بالرسالة التي تمثلها ، وبالمبادىء السامية التي تؤمن بها .

وهي تخوض هذا الميدان بعد احتجاب طويل ، لتواجه فيه تيارات ، وتيارات . فهي ما تزال لينة العود ، حديثة العهد بالكفاح الدولي . والدول الكبرى تعبث بها عبثها بجميع الدول الصغرى ، التي تشركها معها في المسرح الدولي ، دون ان تتخلى

عن سلطتها في اصدار الاحكام النهائية العليا .

ولكن هذا الوضع ليس من شأنه ان يصرفها عن حقيقة جديدة من حقائق وجودها . وهي حقيقة الاستقلالية . والمعنى الاول للاستقلال في العالم الحديث ، هو المشاركة في الحياة الدولية ، بل ان هذه المشاركة قانون لازم لا مفر منه ، وليس من خيار فيه ، الا بين فريق يشارك عن وعي ويقظة ، وحسن تفهم للامور ، وفريق يشارك عن غفلة واستسلام ، فتنقلب المشاركة عنده الى مسايرة او متابعة ، ويفقد في عمله الدولي ذلك الاثر الذاتي .

ولم تكن مشاركة العرب في تأسيس الاونسكو او منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، سوى استجابة لاحكام هذا القانون . والمشاركة هذه ليست سياسية ولا اقتصادية بل هي فكرية . والعرب امة لها في تاريخ الفكر امجاد ومكرمات . ولقد قضي على فكرها في عصور الانحطاط ان يحتبس في ذاته مع بقية مقومات الوجود الاخرى . وها هو مع الحرية والاستقلال ، ينطلق من هذا المقال . وينطلق هذه المرة لا ليتحرك في اجواء محلية محدودة ، بل ليتجاوزها الى رحاب انسانية .

وهنا تهز مهمة الواعين من شبان العرب . فهم يريدون ان تكون هذه المشاركة الفكرية نفسها عن تفهم وبصيرة . ويريدون ان تقبل امتهم على التعاون الفكري العالمي ، وهي عالمة الى اين تسير ، وما الذي ينتظرها منه .

ولذلك قصدت فئة منهم لدراسة الاونيسكو ، والتعرف الى ميثاقها ومبادئها واهدافها ، ورصد اعمالها ، لمطالعة الرأي العام العربي بها على حقيقتها مجردة عن اي زخرف ، او عن اية زينة من زينات الدعاية ، او اي لون من الوان الاغراء .

ولعل في مقدمة هذه الدراسات تلك التي قام بها صديقنا الاستاذ حسن صعب في كتابه عن الاونيسكو . فهو الكتاب الاول من نوعه في اللغة العربية . وهو الكتاب الذي يقدم المنظمة الى القارىء العربي ويهز له صورة كاملة عنها ، تتيح له ان يتعرف الى نشأتها وتطورها ، وان لا يكون غريباً عنها ، وهي تعقد مؤتمرها العام الثالث ، في عاصمة من عواصم الشرق العربي .

وتسترعي نظرك في الكتاب روح المؤلف ، الذي لا ينسى وهو يكتب عن منظمة انشئت لتعزيز وسائل الدفاع عن السلام في نفس الانسان ، بانه انسان عربي ، ويشعرك ان العرب وهم يشاركون في هذا الجهود الانساني لخدمة القيم الفكرية المثلى ، وتوجيهها نحو السلام ، لا يمكن ان يغفلوا عما هم فيه ، ولا يسمح ان يسهوا عن استهانة الغرب بهذه القيم « في الصعيد الدولي ، وفي الصعيد العربي بنوع خاص . » ولكنهم « وهم يستنكرون تطبيق الغرب لها ، لا يضعف ايمانهم بها « لان هذا الواقع الاليم لا يجردها من محتواها المطلق ، ولا من منزلتها الذاتية كسبل هادية للجنس البشري ، وكمقومات اساسية للتقدم الحضاري » .

ولكن هذا الواقع يحملهم على ان يضموا مجهوداتهم الى المجهودات العاملة في سبيل هذه القيم « غير واهمين ، وغير معتقدين ان العمل في هذا الميدان الانساني وحده هو الذي يوصلهم الى ما يصبون اليه . فما يزال امامهم ، وامام الانسانية مراحل طويلة لا يعرف الا الله مداها ، لتتوصل الى معالجة شؤونها بهذه الاساليب المثالية المعنوية دون غيرها . فالواجب علينا ان نستمر في مجهودنا القومي ، بل ان نضاعف هذا المجهود ، حتى نقيم لنا كياناً معنوياً ومادياً محترماً ، وحتى يكون بوسعنا ونحن نساهم في اقامة الكيان الدولي ، ان نستند الى قوى تنظيمية داخلية فكرية واجتماعية واقتصادية وعسكرية متناسقة ومهيبة ، وبذلك لا نكون الرفيق الضعيف في القافلة الدولية التي لا بد من سيرنا معها ، بل الرفيق القوي ؟

وهذا الرفيق القوي هو الذي يستطيع ان يشارك في نشاط الاونيسكو ، وغيرها من المنظمات الدولية ، دون ان يخشى شيئاً . تلك دعوة المؤلف للعرب . وعلى هذا الاساس يطلب منهم ان يحتفلوا بالاونيسكو « كمحاولة من المحاولات الانسانية الرامية الى اعطاء القيم الفكرية البشرية مفاعيلها العملية ، والى تصييرها منطقاً للحياة ، كما هي منطق للفكر . »

ويتناول في فصول الكتاب هذه المحاولة بالدرس والتحليل . فيخصص فصول القسم الاول لنشأتها وجهازها وعلاقاتها الخارجية ولجانها الوطنية ، وفصول القسم الثاني برامج عملها في ميادين التوجيه التربوي الانساني ، والتعاون العلمي في سبيل السلام ، والتبادل الثقافي والفني ، وتنوير الجماهير . ويدع القسم الثالث لفئة من المفكرين المختصين بشؤون الاونيسكو يعالجون موضوعاته فيعالج الاستاذ جوزيف ابو خاطر وزير لبنان المفوض في المكسيك ورئيس الوفد اللبناني في المؤتمر الثاني للاونيسكو موضوع « العرب والاونيسكو » والاستاذ ميشيل فرح مستشار اللجنة التنفيذية اللبنانية لتحضير مؤتمر الاونيسكو « لبنان والاونيسكو » الاستاذ شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف المصرية وعضو المجلس التنفيذي للاونيسكو « مصر والاونيسكو » والدكتور نجيب صدقة رئيس قسم الغرب والامم المتحدة » في وزارة الخارجية اللبنانية ، المركز الثقافي الاقليمي

في الشرق الاوسط » وسيادة الاب يوحنا مارون مفوض الارتباط بين الحكومة اللبنانية والاونيسكو « شهر الاونيسكو ». ثم يختم المؤلف الكتاب بمحاولة لاستخراج فلسفة المنظمة ، يخلص منها الى انه بوسعنا تحديد بعض المبادىء الفلسفية الانسانية التي تستند اليها المنظمة في عملها ، وليس بوسعنا ان نحدد لها فلسفة معينة .

ويبدو لـك في كافة هذه الفصول مجهود فكري متصل ، لا يستهدف التعرف الى المنظمة ، وتصويرها تصويراً حقيقياً صادقاً فحسب ، بل ويرمي بالاضافة الى ذلك ، الى المقارنة بين ما تسعى اليه من اهداف ، وما نحسه نحن من حاجات . فتقف في مستهل فصل التوجيه التربوي الانساني عند قول المؤلف ص ٦٦ ان المنظمة تؤثر « ان تحمل اعضائها على تطبيق بعض المبادىء ، وتنفيذ بعض المشاريع التي تؤدي بها اذا ما اطرد التطور العالمي في طريق التعاون والسلام ، الى تحويل القواعد القومية لنظمهـا التربوية الى قواعد انسانية ، وتهيء لها ان تستبعد من هذه النظم كل ما يبشر بالعداوة او الكراهية او التفاوت بين افراد الاسرة البشرية . » .

ذلك ما تؤثره هي من توجيهها التربوي الجديد ، واما ما نؤثره نحن ، فانك منته اليه مع المؤلف في ختام الفصل ص ٨٣ حين يؤكد لك ان التربية « تمثل لامة ناشئة — كامتنا — اهمية قومية وانسانية بالغة : اهمية قومية لانها بالتربية تستطيع ان تنشىء الجيـل الجديد الذي يساير احدث ما بلغته الحضارة الانسانية في احدث تطوراتها ، واهمية انسانية ، لانها بالتربية ترجو ان تتوصـل الدول الكبرى بنوع خاص الى خلق ذلك الجيل الجديد من ابنائهـا الذي تريده الاونيسكو « والسلام والتعاون الدولي هما لديه المثل الاعلى » فتقي نفسها وتقينا ، وتقي العالم ويلات الحروب وشرورها » .

ويتحدث في الفصل السادس عن مهمة الاونيسكو في الميدان العلمي ، فيبين ص ٧٦ انها « ليست مهمة ابتكارية او ابداعية بل هي مهمة انسانية وتعاونية وصلية . » « فهي لا تطمع في ان تصبح مركزاً للدراسات العلمية ، ولا معهداً للاكتشافات ، ولا مصفاً للمخترعات ، بل تصبو لان تنسق القوى العلمية المتنامية في مختلف انحاء العالم ، وان تضم المجهودات المبذولة الى بعضها ، وان تصبها في تيار دولي سلامي يتحقق فيه ذلك التوازن المفقود بين : طبيعة العلم وهدفه ، وبين التقدم العلمي والتطور الاجتماعي » .

ويعود بعد ان يبسط مشاريع المنظمة في الميدان العلمي ، الى التذكير بواجباتنا فيه ، فيقول ص ٨٠ : « ولست اعرف ميدانـاً لعمل المنظمة يتوجب علينا الافادة منه الى ابعد حد ممكن كهذا الميدان ، اذ اننا كامة تبني لمستقبلها ، لن نتخذ مكاننا الصحيح في العالم الحديث ، الا اذا دخلت ثمرات العلم بكاملها حيـاة كل قرية من قرانا اللبنانية ، وكل بقعة من بقاعنا العربية . »

وعلى هذا النسق تطالعك في جميع الفصول اهداف الاونيسكو في عالمنا ، واهدافنا في عالم الاونيسكو . ويرافقك ذلك اليقين بمستقبل العرب ، ومستقبل الفكر ومستقبل الانسان . فما الاونيسكو في نظر المؤلف سوى محاولة لاقامة « بناء سلامي دولي فكري » « ان اخفقت فالارادة الانسانية كفيلة بان تخلق ان في الشرق او في الغرب محاولات اخرى تستهدف تحقيق رسالتها . » ص ٨.

والنجاح مكتوب لها ان اعتبرت « باختبارات المحـاولات التنظيمية الدولية التي سبقتها ، فضيقت الشقة بين مثاليتها وواقعها ، وطابقت بين ما تنادي به من مبادىء سامية ، وما تسير به من اتجاهات ، وما تنفذه من مشروعات . » ص ٨

ان المؤلف وهو احد الشبان الذين ساهموا في تحضير المؤتمر الثالث للاونيسكو ، اذ تولى سكرتيرية اللجنة التنفيذية ، التي قامت بالاستعدادات اللازمة له ، يساهم في كتـابه بخلق الجو المعنوي اللازم لاقبال القارىء العربي على المؤتمر ، وهو يوجه في مقدمة كتابه اصدق شكره « الى الشخص الذي كان له الفضل الاول في اخراج هذا المجهود المتواضع » . فنحن ننضم اليه في هذا الشكر ، على ان نشرك فيه المؤلف ، ودار العلم للملايين .

نادر سالم

الدول العربية في منظمة الامم المتحدة

للاستاذ شاكر الدبس — ٥٣٥ صفحة — مطبعة الانشاء — دمشق

هذا الكتاب هو اول تسجيل على نطاق واسع لاعمال هيئة الامم المتحدة بهيأتها العامة وفروعها ومنظماتها ومؤتمراتها الاقليمية ، يجد القارىء بين دفتيه كل ما يجب ان يطلع عليه من شؤون هذه المنظمة الدولية الخطيرة التي خلقت مع الحرب العالمية الاخيرة ونمت وترعرعت ، واخذت تلعب دوراً هاماً في حياة الامم والشعوب . وقد عني الكتاب بشؤون الدول العربية في هذه المنظمة عناية خاصة ، وتضمن وقائع القضايا العربية الكبرى التي اولاها العالم العربي اقصى الاهتمام . فقضية فلسطين فصلت تفصيلاً وافياً في جميع ادوارها منذ عرضت على المنظمة ودرسها مجلس الامن حتى مرحلتها الاخيرة في الهدنة الثانية . وقضية مصر ووثائقها والبيانات التي قيلت في شأنها وجدت مجالاً رحباً في هذه المجموعة . وقضية سورية ولبنان اوضحت جوانبها ايضاحاً كاملاً . فمضمون هذا الكتاب الفريد باللغة العربية جدير باطلاع العرب في سائر اقطارهم على اختلاف اوضاعهم وشؤونهم وثقافتهم ، فهو كتاب ينشد محتوياته رجال الحقوق والقانون ، كما يسعى اليها كل متعلم مها يكن نصيبه من الثقافة ، ومها يبلغ حظه من الاطلاع .



مع الاونيسكو

بقلم رياض طه

ما هي منظمة الاونيسكو ؟

بقلم اسم هـذه المؤسسة من ستة ألفاظ اجنبية ترمز الى اسمها الكامل (U. N. E. S. C. O : United, Nations, Education, Science, Culture, Organisation) وهو « منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة .» وغاية هذه المنظمة هي الدعوة الى السلام والى التعاون بين شعوب الارض وتوجيه العلم توجيهاً خيراً ليؤمن هذه الرسالة بمعزل عن السياسة .

ومن البديهي ان فكرة هذه المنظمة ليست من البدع ، لان تاريخ حضارات الدنيا ، قديمها وحديثها ، يحفل بالكثير من الآثار التي تدعو لهذا المثل الانساني الفكري الاعلى .

ولادة المنظمة

وقد ولدت هـذه المنظمة، اثر ولادة منظمة الامم المتحدة ، وجاءت متممة لها، من حيث العمل الرسمي ، وموجهة لها ، من حيث العمل الروحي . ووضع ميثاقها في مؤتمرها التأسيسي الذي عقد في لندن في اول تشرين الثاني عام ١٩٤٥ .

وكان السبب المباشر لتأسيس الاونيسكو شعور السأم من الحرب الذي استولى على العالم ، في ابان الحرب الكونية الاخيرة ، والميل الى تحقيق السلام الدائم . وكان مؤتمر وزراء الدول الحليفة الذي انعقد في لندن لدرس شؤون الفكر في الدول المحاربة اول مؤتمر دعا لهذه المبادىء . وقد ايده مؤتمر سان فرنسيسكو فتولت حكومة بريطانيا الدعوة الى المؤتمر التحضيري الذي اشتركت فيه ثلاث واربعون دولة .

الدول الاعضاء

وهذه هي أسماء الدول التي اشتركت في هذه المنظمة :

الافغانستان ، اوستراليا ، النمسا ، المملكة العربية السعودية ، بلجيكا ، بوليفيا ، البرازيل ، كندا ، الصين ، كولومبيا ، كوبا ، الدانمارك ، الاكوادور ، مصر ، الولايات الاميركية المتحدة ، فرنسا ، اليونان ، هايتي ، هوندوراس ، المجر ، الهند ، ايطاليا ، ليبيريا ، لوكسمبورج ، المكسيك ، زيلندا الجديدة ، النرويج ، هولندا ، بيرو ، الفيلبين ، بولونيا ، الدومينيك ، المملكة المتحدة ، سلفادور ، سويسرا ، سوريا ، تشيكوسلوفاكيا ، تركيا ، اتحاد جنوبي افريقيا ، اوروغواي ، فنزويلا ، لبنـان ، الارجنتين ، ايران ، العراق ، الهند ، النمسا .

دستور الاونيسكو

وقد وضعت المنظمة ، في مؤتمرها التأسيسي ، دستوراً ، وقعته جميع الدول الاعضاء ، هذه مقدمته : « ما دامت الحروب تولد في نفوس البشر ، فمن الواجب اقامة اسباب الدفاع في النفوس ايضاً وان عدم التفاهم المتبادل بين الشعوب كان ، منذ البدء ، باعثاً للشك وسوء الظن بين الامم وعاملاً من عوامل تطور الخلاف غالباً الى نزاع مسلح . وان الحرب الرهيبة الكبرى التي وضعت اليوم اوزارها قد مهد لها الكفر بالمثل العليا الديمقراطية المؤسسة على الكرامة والمساواة واحترام الشخصية البشرية ومن ثم الرغبة في استبدالها بمبدأ التفاوت بين الاجناس والافراد المرتكز على استثمار الجهل والمزاعم المجردة .

وان كرامة الانسان في حاجتها الى تعميم الثقافة والتربية لضمانة العدالة والحرية والسلام تفرض على جميع الامم واجبات مقدسة يجب اداؤها في جو مشبع بالتعاون المتبادل .

وان سلماً قائماً فقط على عقود اقتصادية وسياسية بين الحكومات يقصر عن ادراك انسجام مستمر صادق بين الشعوب ، ويتوجب بالتالي بناء هذا السلم على اسس التضامن الفكري والادبي بين

البشر . لهذه الاسباب ، تقرر الدول الموقعة على هذا الاتفاق والعازمة على فتح باب التربية للجميع وتأمين السعي الحر الى الحقيقة الموضوعية والتبادل المطلق للآراء والمعلومات، ان توطد العلاقات بين الشعوب رغبة في ازدياد التفاهم بينها والوصول الى معرفة اصدق وادق ما عندها من عادات . بناء عليه انشأت هذه الدول اليوم منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في سبيل تحقيق السلام العالمي الدائم والرخاء الشامل للانسانية بفضل تعاون الامم في ميادين التربية والعلم والثقافة، تلك الاهداف التي خلقت من اجلها منظمة الامم المتحدة واعلنها ميثاقها .» .

جهاز المنظمة

ويقوم جهاز الاونيسكو على هذه القواعد الثلاث : المؤتمر العام ، والمجلس التنفيذي ، والامانة .

فالمؤتمر العام هو مجموعة ممثلي الدول المشتركة في المنظمة يجتمعون مرة كل عام في دورة عادية ، ولا ينعقد في دورات استثنائية الا بدعوة من المجلس التنفيذي . وهذا المؤتمر هو المرجع الاساسي للمنظمة في اعمالها ، وهناك مؤتمرات فرعية هي : مؤتمرات للتربية والعلم والثقافة تعقد في مقره او في جهات اخرى في صبغة دولية او اقليمية .

والمجلس التنفيذي صفة المؤتمر العام التمثيلية الشاملة في اداة عملية تنفيذية . وقد حدد الميثاق صلاحيات هذا المجلس بعدة مواد اهمها اولاها وهي : « يكون المجلس التنفيذي ، وهو قائم بوظيفته تحت سلطة المؤتمر العام ، مسؤولاً امام المؤتمر عن تنفيذ المنهاج الذي صدق عليه المؤتمر . والمجلس يعد جدول الاعمال لجلسات المؤتمر ومنهاج العمل المعروض امام هذا المؤتمر» .

اما الامانة العامة فهي الهيئة المتفرعة عن الجهاز ، وهي مؤلفة من المدير العام ومن موظفين يتبعونه ويساهمون معه في تنفيذ برامج المنظمة ومشاريعها .

مقر انعقاد المؤتمر

ليس لانعقاد الدورات السنوية مقر ثابت معين ، والمؤتمر العام هو الذي يحدد في كل دورة المكان الذي سينعقد فيه في الدورة التالية . وقد عقدت المنظمة حتى اليوم ثلاثة مؤتمرات عامة : الاول في باريس عام ١٩٤٦ ، والثاني في مكسيكو عام ١٩٤٧ ، والثالث ينعقد اليوم في بيروت .

وضع المنظمة

الاونيسكو فرع من منظمة الامم المتحدة تتبع طرائقها التنظيمية ، ولكن لها شخصيتها المتميزة المستقلة ، ومعظم اعضاء منظمة الامم المتحدة هم اعضاء الاونيسكو، ما خلا بعض الدول وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي الذي يناوىء الاونيسكو مناوأة مكشوفة .

وتعمل للمنظمة لجان وطنية، وهي هيئات تؤلفها الحكومات الاعضاء من رجال الفكر العاملين في حقول الاونيسكو وتضم اليوم رجالاً رسميين للعمل الشعبي .

طرائق العمل

تتشعب أغراض وحقول الاونيسكو تشعباً واسعاً فضفاضاً يدور حول محور اساسي هو العمل الفكري للسلام . وتضطر المنظمة الى التقيد بأوضاع واعتبارات شتى اهمها مراعاة تراث كل دولة واستقلالها الفكري . لذلك فان طبيعة الاونيسكو تقوم على تعاون انساني اختياري لا اكراه فيه ولا قسر ، والدول الاعضاء متساوية سواء كبيرة او صغيرة .

وتدعو الاونيسكو الى التفاهم بين الشعوب والتعاون العلمي من اجل السلام ، وهي تعتبر ان العلم لا وطن له ولا دين ولا جنس وانما هو تراث انساني بحت . وقد وقفت الاونيسكو من الاتحادات العلمية الدولية موقف المؤازرة والتشجيع لتتعاون معها على بلوغ الاهداف المشتركة . وقد اسست لهذه الغاية مراكز للتعاون العلمي في مختلف اقطار العالم .

وتسعى المنظمة الى ابراز مختلف الثقافات العالمية المتنوعة ومحاربة الانزواء الفكري ، لتكون تلك الثقافات روابط تفاهم وتواصل بين شعوب الارض لا أسباب تنابذ وتباعد . والمنظمة تعمل في سبيل تعزيز تبادل الكتب بين مختلف الشعوب ، كما

قاعة الاجتماعات الكبرى في مدينة الاونيسكو



مشاريع تنويرية عامة تتعاون في تنفيذهـا ، مع شبكة الاذاعة العالمية التي انشأتها منظمة الامم المتحدة. وهي بانتظار انشاء محطة خاصة بها تشترك في برامج محطة هذه المنظمة وتهيء الجانب الفكري منها ، كما انها تتعاون مع محطات الاذاعة الوطنية . وهي تعمل في سبيل انشاء معهد دولي للصحافة والانباء غايته المساهمة في تكوين رجال الصحافة لجميع بلاد العالم . وقد تقرر انشاء هـذا المعهد في المؤتمر الاول للاونيسكو في العاصمة الفرنسية . والجهود مستمرة لاخراج هذا المشروع الى حيز الوجود .

الاونيسكو في ضيافة لبنان

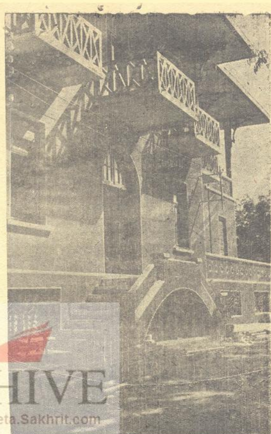
ما من ريب في ان انعقاد مؤتمر الاونيسكو في لبنان سيعود على هذا البلد بفوائد معنوية ومادية جمة ، اهمها الدعاوة الصحيحة له في جميع انحاء العالم عن طريق الوفود التي تؤمه من كل مصر .

وقد بذل ممثلو لبنان جهوداً كبيرة متواصلة في سبيل عقد هذا المؤتمر في بيروت وقاوموا جميع العقبات السياسية بعناد وصلابة الى ان تم ذلك .

ومنذ شهور عدة والحكومة اللبنانية تعد العـدة لهذا المؤتمر وتنشط لاستكمال الاستعدادات المعنوية والمادية لاستقبال المؤتمر على تحويبيض وجه البلد أمام نفر من اقطاب الفكر في مختلف انحاء العالم .

دور الاونيسكو

وقد انشأت الحكومة دوراً جديدة خاصة بمؤتمر الاونيسكو



مدخل احدى البنايات في مدينة الاونيسكو

بنايتان من عدة ادوار وغرف واروقة



تسعى الى تعميم المتاحف والمعارض وتبـادل الفنون المسرحية والموسيقية ، وتبادل الاشخاص في بعثات ووفود بين الدول .

ومن مناهج الاونيسكو الاتصال بالجماهير لتنويرها وتوجيهها توجيهاً انسانياً مثالياً . وقد اسست ، لهذه الغاية ، مكتباً دولياً للآراء في باريس .

وقد عملت المنظمة في سبيل تنوير الجماهير مع حرصها على ضرورة بقاء حرية الرأي ، فبذلت مجهوداً متصلاً مع لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة .

وهي تستخدم وسائل الانباء عاملة على تحسين حالها في العالم كله ، ولا سيا في الاقطار التي خربتهـا الحروب . وللاونيسكو

وقد عهدت الحكومة اللبنانية الى الاستاذ الشيخ خليل تقي الدين ، المدير العام المنتدب للدعاية والنشر والاذاعة ، ان يتولى مديرية الانباء في الاونيسكو ورئاسة لجنة الصحافة . فقام حضرته ، مع نخبة من الاعوان ، بنشاط بارز لتهيئة الجو الفكري في لبنان . وقد كلف عدداً غير قليل من حملة الاقلام بوضع المقالات والابحاث التي تدور حول فكرة الاونيسكو وتدعو لاهدافها وتناقش اغراضها ، كما ساهمت عدة صحف لبنانية في هذا المجهود فاصدرت اعداداً خاصة او شبه خاصة بالاونيسكو .

واصدرت «دار العلم للملايين» كتاباً خاصاً عنوانه «الاونيسكو» بقلم الاستاذ حسن صعب لعله الاول من نوعه في المؤلفات العربية وبين الكتب القليلة في العالم التي تدور حول هذا الموضوع .

وكذلك صدرت نشرة عربية عن «رسالة الاونيسكو» يتعهدها بعض الموظفين في اللجان اللبنانية .

معرض الفن

وقد اعد رجال الفن في لبنان والبلاد العربية معرضاً فنياً رائعاً يضم لوحات لتاريخ هذا البلد والبلدان الشقيقة . ومن اولئك الفنانين الاساتذة : عمر الانسي ، مصطفى فروخ ، قيصر الجميل ، سعدي ، رشيد وهبي ، ووضعت تصاميم الانسة ناديا بيضون كما جمعت بعض



البنايات تحيط بها الحدائق

سميت «المدينة الثقافية» ، وشيدت على بقعة مرتفعة من بقاع العاصمة تحاذي «كورنيش بيروت» وتشرق على البحر كما تواجه الجبل . وتكاد هذه الدور تكون ، حقاً ، مدينة قائمة بذاتها .

وقد وفرت الحكومة كل ما يتطلبه انعقاد المؤتمر . من اماكن واجهزة واسباب راحة الوفود ، فشيدت لهذا الغرض مباني على الطراز الحديث نقلت تصاميمها من القصور التي اقرتها البلدان الراقية للمؤتمرات والاجتماعات الكبيرة . وقد بلغت نفقات تكاليف هذا المشروع نحواً من ثلاثة ملايين ليرة لبنانية . وسيستخدم لبنان تلك البنايات الفخمة والقاعات الفسيحة ، بعد ارفضاض المؤتمر ، للاغراض العلمية والفنية والثقافية .

وتتألف المدينة الثقافية من سلسلة أبنية ، اهمها البناية الكبرى التي تحيط بها احواض مكسوة بالورود والاعشاب . وفي داخل هذه البناية قاعة فسيحة جداً تتسع لنحو الفي شخص ، وهي مبنية بشكل مدرج ومجهزة بوسائل فنية لتكبير الصوت وتكييف الهواء وتشتمل على مقاصير خاصة بالمدعوين ورجال الصحافة .

وفي داخل هذه «المدينة» مكاتب للصحافة وللامانة والوفود التي تمثل ثماني واربعين دولة ، وقاعات للمعارض العلمية والفنية . وفيها محطة للاذاعة وشبكة تلفونية خاصة ، ودوائر للبرق والبريد ليمكن المراسلين ان يبعثوا منها رأساً ببرقياتهم ورسائلهم الى كل انحاء العالم .

المستر هارولد كابلن مدير الانباء العام لمؤتمر الاونيسكو في مكتب الشيخ خليل تقي الدين ومعهما الاستاذ وجدي الملاط

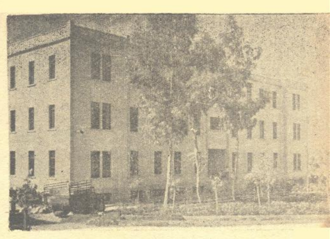


الشابات والشبان تتوفر فيها ميزات اللياقة والمعرفة لاستقبال مندوبي الدول، وامنت جميع المساكن في المدينة والجبل لاعضاء الوفود في اشهر الفنادق الصحية التي تمتاز بالرفاهية والمناخ الطيب

برنامج عام ١٩٤٩

ووضعت وزارة الخارجية اللبنانية النص العربي للوثيقة الاولى من الوثائق الاساسية التي سيدرسها المؤتمر العام، وهذه الوثيقة هي برنامج الاونيسكو لعام ١٩٤٩، وهي محور المناقشات في المؤتمر. وقد وزع هذا البرنامج على جميع اعضاء اللجنة القومية اللبنانية للتربية والعلم والثقافة وطلب من اللجان الفرعية المختصة ان تتولى كل منها دراسة موضوع من الموضوعات المدرجة في جدول الاعمال. وتضع كل لجنة مختصة تقريراً شاملاً بالموضوعات التي تدرسها على ان تقدم هذه التقارير الى الوفد اللبناني في الاونيسكو فيتاح له الاطلاع على جميع المسائل التي سيبحثها المؤتمر ويحدد موقف لبنان منها. وقد وزع اعضاء اللجنة الوطنية الخمسة والاربعون على ثماني لجان فرعية وهي: لجنة التربية والتعليم، لجنة العلوم الاجتماعية، لجنة العلوم الطبيعية، لجنة العلوم الرياضية، اللجنة الثقافية العامة، لجنة اللغة العربية وآدابها، لجنة تنوير الجماهير، اللجنة الحقوقية.

رياض طه



احدى البنايات تحيط بها الحدائق

بعض آثار حبيب سرور وجبران خليل جبران وخليل صليبي.

اللغة العربية

واتفقت الحكومة اللبنانية مع الاونيسكو على ان تعتمد اللغة العربية لغة عمل، كالانكليزية والفرنسية، على ان تتولى الحكومة اللبنانية الانفاق على دائرة الترجمة، وتألفت هذه الدائرة من ستة عشر موظفاً يترأس فرعها الفرنسي الاستاذ ادوار البستاني ويترأس الفرع الانكليزي الاستاذ منح راسي.

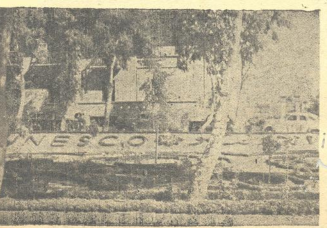
العمل السينمائي

ووصل الى لبنان من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا وغيرها من البلدان عدد من الافلام يبلغ ٢٥٥ فلماً ومواضيع هذه الافلام ثقافية علمية وتربوية. ويستغرق عرض كل فلم من خمس الى خمس وعشرين دقيقة، وقسمت هذه المجموعة الى فئتين الفئة الاولى مؤلفة من الافلام التربوية التي تعرض في المدارس، والفئة الثانية ثقافية وفنية وعلمية عالية وقد عرضت في سينما دنيا ببيروت. وهذه الافلام من ارقى منتوجات السينما العالمية وهي ملونة بالالوان الطبيعية وناطقة بالفرنسية او الانكليزية او العربية. ومواضيع اكثرها تتعلق باحدث الاختراعات وارقى الانتاج الفكري والادبي في العالم.

لبنان المضيف

ولم تدخر السلطات اللبنانية وسعاً في الاستعداد المادي للمؤتمر — الى جانب الاستعداد الفكري — فانتخبت فئة من خيرة

جانب من الحديقة التي تقع على مدخل مدينة الاونسكو وقد كتب بالعشب الاخضر « الاونسكو » بالعربية والفرنسية





٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ – ادلى المارشال ستالين بتصريح الى جريدة البرافدا قال فيه ان اميركا وبريطانيا مسؤولتان عن عدم الوصول الى حل لمشكلة برلين لانتهاجها سياسة عدوانية صريحة .

٢٩ – احتل الجيش الفرنسي المناجم التي اضرب عمالها .

– اعلن بن غوريون بان اليهود لن ينسحبوا من المناطق التي احتلوها في النقب .

٣٠ – خرق اليهود الهدنة في منطقة الجيش العراقي :

– استقال رئيس جمهورية البيرو على اثر انذار من القادة العسكريين .

– عقدت الجامعة العربية اولى جلساتها في دورتها التاسعة .

– تأجلت جلسة اللجنة السياسية لهيئة الامم دون الوصول الى نتيجة في قضية اليونان .

١ تشرين الثاني – احتل الشيوعيون الصينيون منشوريا بعد قتال دام ثلاث سنوات .

– اصطدم الجنود الروس عند دخولهم لاذربيجان بالجنود الايرانيين .

٢ – تقدم الاميركيون من صناديق الاقتراع لانتخاب رئيس جمهوريتهم ونائبه .

٣ – فاز المستر ترومان برئاسة جمهورية الولايات المتحدة .

– اجل مجلس الجامعة العربية البحث في قضية فلسطين .

– خطاب البنديت نهرو في الجمعية العمومية لهيئة الامم فأكد انه سيناضل ضد السيطرة الاستعمارية .

٤ – اقترحت اميركا في مجلس الامن عدم انزال العقوبات باحد الطرفين المقاتلين في حالة خرق الهدنة من جديد .

٥ – اقترح مندوب اوستراليا ان تتشاور اليونان مع جيرانها لحل قضيتها .

– اعترفت الافغانستان بحكومة غزة .

– تزحف الجيوش الشيوعية نحو نانكين عاصمة الصين .

٦ – امرت اميركا وبريطانيا رعاياهما بالانسحاب من شمالي الصين .

– اتهم فيشنسكي اميركا بانها تشجع اليونان على استعمال الغازات السامة .

٧ – احتفلت روسيا بالذكرى الـ ٢١ للثورة الشيوعية .

٨ – قدمت الوزارة الايرانية استقالتها .

– اسفرت انتخابات المجلس الجمهوري الفرنسي عن فوز ساحق لحزب الجنرال ديغول .

٩ – نفت وزارة الحربية البريطانية مزاعم اسرائيل الوهمية واكدت ان لا جنود لها بفلسطين او الاردن .

– نجا مصطفى النحاس باشا من مؤامرة كانت مدبرة للقضاء على حياته .

– عقد اتفاق تجاري بين اليابان وبريطانيا .

١٠ – دعا الدكتور بانش في تقرير قدمه الى مجلس الامن كل من العرب واليهود للمفاوضة للوصول الى حل نهائي لقضية فلسطين .

– صرح وكيل وزير الخارجية البريطانية بانه اذا لم يتلق اللاجئون المساعدات فمن المؤكد وقوع كارثة رهيبة .

١١ – صرح مسؤول باسم فخامة شكري القوتلي بان سوريا لن تتردد في الاندماج في اية دولة اخرى اصغر منها او اكبر اذا كان في ذلك القضاء على الصهيونية .

– قدمت الوزارة اليونانية استقالتها .

١٢ – انهت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اعمالها .

– حكم بالاعدام على توجو رئيس الوزارة اليابانية السابق .

– نسفت دار الصحافة الاجنبية في القاهرة .

١٣ – وافق مجلس الامن على اقتراح بانش لاقامة خطوط للهدنة ومناطق مجردة من السلاح في النقب .

– كلف الملك بولس السيد تسالداريس بتأليف الوزارة اليونانية الجديدة .

– يحشد الروس فرقاً آلية كبيرة في المانيا .

١٥ – صرح الاستاذ فارس الخوري في مجلس الامن ان العرب لن يقبلوا الهدنة الدائمة في فلسطين .

– وضعت الاميرة اليزابيت ولداً ذكراً .

١٦ – اصدر مجلس الامن امره الى العرب واليهود بوجوب عقد هدنة دائمة في فلسطين كلها .

– اعلن موظفو ايطاليا الاضراب للحصول على زيادة مرتباتهم .

١٧ – اعلن النقراشي باشا ان العرب يرفضون عقد هدنة نهائية في فلسطين .

– اعلن الاستاذ فارس الخوري في اللجنة السياسية للامم المتحدة رفض الدول العربية لمشروع برنادوت وطلب احالة قضية فلسطين على محكمة العدل الدولية .

– افتتح مؤتمر الاونسكو الثالث في بيروت .

١٨ – قدمت بريطانيا في اللجنة السياسية مشروع قرار يقضي بالموافقة على مشروع برنادوت وضم منطقة النقب الى شرقي الاردن .

– اعلن بن غوريون بان اليهود لن ينسحبوا الى الخطوط الجديدة في النقب .

– افتتح البرلمان المصري دورته الخامسة وقد اكد النقراشي باشا في خطاب العرش بان جلاء القوات الاجنبية ووحدة مصر والسودان قضيتان يؤمن بها كل سكان وادي النيل .

١٩ – اعلن في القاهرة طلاق الملك فاروق من الملكة فريدة وطلاق الامبراطورة فوزية من جلالة شاه ايران .

– اعلن اليهود انهم ينسحبون من مراكزهم الجديدة في النقب، الا انهم لن يتخلوا عن بئر السبع وعسلوج .

– اقرت الجمعية العمومية لهيئة الامم المشروع الفرنسي البلجيكي بانشاء هيئة لجمع انباء تسلح الدول وردت اقتراح روسيا بتخفيض السلاح وتحريم الاسلحة الذرية .

– قامت مظاهرات صاخبة في قبرص طالب فيها المتظاهرون بتأليف مجلس تأسيسي وتشكيل حكومة وطنية .

– طلب توجو التعجيل باعدامه .

٢٠ – خطب مندوب اميركا في اللجنة السياسية التابعة لهيئة الامم فقال ان اميركا تعتبر التقسيم اساساً لحل قضية فلسطين وان دولة اسرائيل قائمة وقد احرزت نجاحاً باهراً وانها تؤيد قبولها في هيئة الامم المتحدة .

٢٢ – رفضت روسيا وبولونيا مشروع برنادوت وايدتا التقسيم الاصلي حلاً لقضية فلسطين .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٢

فهرست الموضوعات

لسنة الادب السابعة [١٩٤٨]

راجع بريد الاديب تحت مادة « بريد » . والقصائد تحت مادة « شعر » . والاخبار العلمية تحت مادة « علم » والقصص تحت مادة « قصة » ومكتبة الاديب تحت مادة « كتاب »

فهرست الكتّاب

لسنة الاديب السابعة [١٩٤٨]

الكاتب	الجزء	الصفحة	الكاتب	الجزء	الصفحة	الكاتب	الجزء	الصفحة
ملجس – الآنسة ثريا	٩	٦٣	نصار – حسين	١٠	٧	**و**		
الملوحي – عدنان	٦	٥٦		١١	٣٢			
المنجد – صلاح الدين	١	١٣		١٢	٦٣	الوتري – اكرم	١٢	٤٨
	١	٥٥	نصار – عفيف	١١	٥٥	الونداوي – فؤاد	٤	٥٨
منصوري – عبد الرحمن	٨	٥٧	النصولي – محيي الدين	١٠	٧٥		٩	٥٠
مهدي – حسن	١١	٦١	نعيمة – ميخائيل	١١	٥٢	وهبي – رشيد	٦	١٠
			نوري – عبد الملك	١٢	١٣	وهبي – محمد	٨	٣٤
ن							١١	٢٢
ناجي – زهير	٩	٦٩	**هـ**					
نادر – جواد	٦	٥٦				**ي**		
	٩	٦١	الهاشمي – الدكتور محمد يحيى	٤	٥٧			
نامق – حسام الدين	١١	٤٢		٦	٤٧	اليازجي – توفيق	٤	٣٦
نخلة – امين	١٠	٧٥		٨	٤٣		٧	٥٤
نصر – نسيم	٣	٢٧		١٠	٣٤	اليازجي – كمال	١٢	٦
	٦	٣٣		١٠	٥٠	ياسين – رشيد	٨	٤١
	١١	٤٢	هنداوي – خليل	٤	٥٥	يونس – منوال	٨	٥٢
	١٢	٣٨		١١	٦		١٠	٦٩

